الأنوار ٣٢

مجلّة إسلامية، ثقافية، دعوية، علمية

تصدرها جامعة أنوار العلوم خيرآباد. تايباد. خراسان

السنة الحادية عشرة. الرقم ٣٢. ربيع الأول ١٤٤٤

أسباب تدلي منزلة العلماء

لينوا بأيدي إخوانكم

الدكتور يوسف القرضاوي

القناص لا الجوال

عن عبد الله بن عمرو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ" .

رواه الترمذي

عن ابن عباس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ فِي يَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَقُولُ : يَا رَبِّ قَتَلَنِي . حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ" . قال : فذكروا لابن عباس التوبة فتلا هذه الآية : "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا" قال : ما نُسخت منذ نزلت، وأنى له التوبة ؟!

رواه النسائي

من أهمّ شروط النّشر في المجلّة:

أن يوثّق البحث علميا ، بذكر المصادر، والمراجع ، التي اعتمدها الباحث مع ذكر رقم الآيات القرآنية ، وأسماء السور، وتخريج الأحاديث.

يفضّل أن يكون البحث يشير إلى تاريخ خراسان- رجالها وأماكنها التّاريخيّة- ، ويتسم بإثارة الهمم وبعث الرّجاء في النفوس نحو الأهداف المنشودة وإعادة المجد لخراسان.

أن يهتم البحث بمعالجة القضايا المعاصرة ، ومشكلاتها ، ويسهم بالتحصين الثقافي والتغيير الحضاري، وترشيد الصحوة ، في ضوء القيم الإسلاميّة.

أن يكون البحث بخط واضح ، ويفضّل أن يكون مكتوبا على آلة الكتابة ، وأن لايزيد عن ثلاث صفحات A4 بفونت 14، وتُرسل السيرة الذاتيّة والإجازات العلميّة لصاحب البحث.

أن يتسم بالأصالة ، والإحاطة والموضوعيّة ، والمنهجيّة.

أن يبتعد عن إثارة مواطن الخلاف المذهبي ، والسياسي ، ويؤكّد على عوامل الوحدة والاتّفاق.

الافتتاحية / عبد الواحد مؤمني (عليبائي) ٢
قيمة الحرية في القرآن الكريم / الدكتور محمد علي الصلابي ٤
أسباب تدلي منزلة العلماء / مجتبى أمتي ٦
رسالة إلى إخواننا في زاهدان وعلى رأسهم مولانا الشيخ عبد الحميد -حفظه الله ورعاه- إدانة لما حدث في الجمعة الدامية ٩
الأمة على شفا جرف هار / نعيم فاضلي ١٠
تربية النشئ الجديد وتحديد الأهداف / إلياس نظري ١٣
لينوا بأيدي إخوانكم / عبد المجيد خدادايان ١٥
الدكتور يوسف القرضاوي / حبيب الرحمن حاجي حسيني ١٨
من أهم الصفات في الحاج "عبد الغفور رجب علي زادة" باني جامعة أنوار العلوم بخيرآباد / مجتبى أمتي ٢٣
نِعم الرافد إذا حلّ به الوافد / عبد الغفار ميرهادي ٢٥
سلسلة تاريخ الأندلس (1) / عبد الرحمان ملانيازي ٢٨
أختي / خالد رسولي ٣١
بين العقل والغريزة / محمد ماري ٣٢
أفغانستان عن قريب / الطالبان: دانيال درويشي ومرصاد جباري ٣٣
تقرير موجز من حفلة الآباء على صعيد البلد / عبد البصير شهيدي ٣٦
القناص لا الجوال / عبد الحكيم إبراهيم نجاد ٣٨
الشيخ أشرفعلي تهانوي،خدماته العلمية والإصلاحية / عبد المجيد حبيبي ٤٠
قصة قبيلتين كأننا نعيشها! / محمد مياخيل ٤٤
مشقة العلماء على شدائد التحصيل / زبير سليمانبور ٤٧
لغات وتعابير / الطالبان: عرفان طاهرنيا و متين مرادي ٤٨

ترحب المجلة باقتراحات المفكرين و أصحاب اليراع في حركتها نحو إيجاد الوعي و الصحوة الإسلامية في الأمة، و تستدعي مساهمة جميع الكتّاب و أصحاب القلم في دورها الثقافي.

مجلّة الأنوار

مجلّة إسلامية، ثقافية، دعوية، علمية
تصدر من جامعة أنوارالعلوم خيرآباد ـ تايباد
المشرف العام:
الشيخ عبدالمجيد رجبعلي زادة
رئاسة التحرير:
الأستاذ عبدالواحد المؤمني (علي بائي)

المراسلات:
إيران ـ خراسان ـ تايباد ـ خيرآباد ـ
جامعة أنوارالعلوم ، مجلة الأنوار.
الموقع: WWW.ANVARWEB.NET/AR
Email: anvarweb.netgmail.com

دراسة السيرة النبوية وتطبيقها رمز الحب والانتصار

بمناسبة ميلاده صلى الله عليه و سلم

عبد الواحد مؤمني (عليبائي)

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

نحن المسلمون اليوم أكثر عددا، وأوفر عدة، وأجهز سلاحا وكراعا، وفي أيدينا القرآن الكريم، وسنة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، ومع ذلك كله الاستنان والاقتداء بشخصيته العملاقة عن طريق الدراسة والبحث في كتب السيرة والقصص ما يكمّلنا ويجمّلنا ويقدّمنا على الأمم السالفة التي فقدت رسالتها ومهمتها، وجعلت الدنيا وزخارفها نصب أعينها ومبلغ علمها، وهذه تسببت أن غيرت وحرفت الكتب السماوية، واستحقت الغضب والمسكنة والكبت، ولا شك أن الاحبار والرهبان هم الذين تصدَّوا للرئاسه الدينية، وجعلوا تلك الدرجة العليا ذريعة للوصول إلى الدنيا التافهة والمنافع الفانية عوضا عن إبلاغ رسالات الله تعالى بالأمانة والسلامة، ولم يقدروا أن يدفعوا عنهم الوسواس الذي يبعثهم على التغيير والتحريف.

وهذا الفعل البغيض بلاء عظيم لأرباب الرسالات؛ لأنهم اتبعوا الشهوات والأهواء، وطلبوا ما عند الناس من المال، وأسخطوا الله تعالى سبحانه.

وأما الأمة الإسلامية النامية بعد ذبول الأمم المتقدمة استطاعت أن تفتح القلوب الراغبة والقابلة وتجذب الذين يرصدون النور في الظلام المدلج.

ونحن إذ نؤمن بأن في كتاب الله وسنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- خير علاج للأمراض النفسية والفوضى الاجتماعية نؤكد بأن الغايات التي تحمد عليها لا تتحق ولا تؤتي ثمارها اليانعة إلا في أرضية الإيمان، وهي قلوب رجال مؤمنين ونساء مؤمنات، أولئك الذين دخل الإيمان بشاشة قلوبهم فاسترخصوا أغلى ما عندهم في طريق الإيمان، واستبشروا بالبيع الذي تبايعوا عليه رضىً بالانتفاع الذي اكتسبوه، وكما قيل أول صلاح هذه الأمة صلاح عقيدتها، وأول فسادها فساد عقيدتها.

يجدر بنا في هذا العصر وفي كل عصر أن نتذكر، ولا نهمل هذا المنهج الناجح المستمد

مـن الإيحـاءات الإلهيـة، وليـس عندنـا شـيء أدل ممـا يشـهد بـه التاريـخ ويصـوره لنـا كالعيـان بـأن الرسـول -صـلى الله عليـه وسـلم- والمؤمنيـن الذيـن صحبـوه ليـلا ونهـارا، سـفرا وحضـرا كيـف واجهـوا آنـذاك في المجتمـع الجاهلـي النزاعـات المتأصلـة، والأعـراف العريقـة، والجـور السـافر على فئـة مـن النـاس عامـة، وعلى المـرأة خاصـة، والأعـراف السـائدة التـي تحمـل في طياتهـا الضيـم والحيـد عـن الجـادة.

أجـل...! البعثـة المحمديـة نعمـة لا تدانيهـا نعمـة، لا حسـية ولا معنويـة! كيـف لا وقـد مـدح الله تبـارك وتعالـى رسـوله الكريـم -صـلى الله عليـه وسـلم- ونـوّه شـأنه في مواضـع عديـدة مـن كتابـه الكريـم بأسـاليب متنوعـة، قـال تعالـى: «وَإِنَّـكَ لَعَلَـىٰ خُلُـقٍ عَظِيـمٍ». أي وإنـك يـا محمـد لعلـى أدب تاريخـي رفيـع جـم، وخلـق فاضـل كريـم؛ فقـد جمـع الله فيـك الفضائـل والكمـالات. يـا لـه مـن شـرف عظيـم لـم يـدرك شـأوه بشـرا! فـرب العـزة جـل وعـلا يصـف محمـدا بهـذا الوصـف الجليـل.

وكان مـن خلقـه -صلـوات الله عليـه- العلـم، والحلـم، وشـدة الحيـاء، وكثـرة العبـاده، والسـخاء، والصبـر، والشـكر، والتواضـع، والزهـد، والرحمـة، والشـفقة، وحسـن المعاشـرة، والأدب، إلـى غيـر ذلـك مـن الخـلال العليـة والأخـلاق المرضيـة. ولله در القائـل:

أرى كل مـدح في النبـي مقصـرا...وإن بالـغ المثنـي عليـه وأكثـرا

إذا الله أثنـى بالـذي هـو أهلهُ...عليـه فمـا مقـدار مـا يَمـدح الـورى

وقـال تعالـى منوّهـا شـأنه -صـلى الله عليـه وسـلم-: «قَـدْ أَنـزَلَ اللهُ إِلَيْكُـمْ ذِكْـرًا» أي قـد أنـزل الله إليكـم وحيـا يتلـى وهـو القـرآن الكريـم، «رَّسُـولًا يَتْلُـو عَلَيْكُـمْ آيَـاتِ اللهِ مُبَيِّنَـاتٍ» أي وأرسـل إليكـم رسـولا وهـو محمـد يقـرأ عليكـم آيـات الله واضحـات جليـلات تبيـن الحـلال والحـرام، ومـا تحتاجـون إليـه مـن الأحـكام، «لِّيُخْـرِجَ الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَـاتِ مِـنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَـى النُّـورِ» ليخـرج المؤمنيـن المتقيـن مـن الضلالـة إلـى النـور، ومـن ظلمـة الكفـر والجهـل إلـى نـور الإيمـان والعلـم.

وقـال تعالـى: «وَمَـا مُحَمَّـدٌ إِلَّا رَسُـولٌ» أي ليـس محمـد إلا رسـول مضـت قبلـه الرسـل، والرسـل منهـم مـن مـات ومنهـم مـن قتـل: «أَفَـإِن مَّـاتَ أَوْ قُتِـلَ انقَلَبْتُـمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُـمْ» أي أفـإن أماتـه الله أو قتلـه الكفـار ارتددتـم كفـارا بعـد إيمانكـم؟! «وَمَـن يَنقَلِـبْ عَلَىٰ عَقِبَيْـهِ فَلَـن يَضُـرَّ اللَّهَ شَـيْئًا» أي ومـن يرتـدَّ عـن دينـه فـلا يضـر الله، وإنمـا يضـر نفسـه بتعريضهـا للسـخط والعـذاب. «وَسَـيَجْزِي اللهُ الشَّـاكِرِينَ» (آل عمـران144) أي يثيـب الله المطيعيـن وهـم الذيـن ثبتـوا ولـم ينقلبـوا. وقـال تعالـى: «وَمَـن يُطِـعِ اللهَ وَرَسُـولَهُ يُدْخِلْـهُ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِـن تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ خَالِدِيـنَ فِيهَـا، وَذَلِـكَ الْفَـوْزُ الْعَظِيـمُ»

ويحـذّر الذيـن يسـتبدلون طريقتـه السـنية ومحجتـه البيضـاء بالطـرق المظلمـة بقولـه سـبحانه: «فَلْيَحْـذَرِ الَّذِيـنَ يُخَالِفُـونَ عَـنْ أَمْـرِهِ أَن تُصِيبَهُـمْ فِتْنَـةٌ أَوْ يُصِيبَهُـمْ عَـذَابٌ أَلِيـمٌ» (نـور63) ويخبـر ربنـا سـبحانه بأنـه تعالـى وملائكتـه يعتنـون بشـأن رسـولنا الأعظـم صلـوات الله عليـه، ويأمـر المؤمنيـن أيضًـا بالصـلاة والسـلام على النبـي -صـلى الله عليـه وسـلم- كمـا قـال تعالـى: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَـهُ يُصَلُّـونَ عَلَى النَّبِـيِّ، يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا صَلُّـوا عَلَيْـهِ وَسَـلِّمُوا تَسْـلِيمًا»

و أخيـرًا نؤكـد بـأن وظيفـة المسـلمين هـو تعظيـم الرسـول -صـلى الله عليـه وسـلم- ومحبتـه، واتبـاع شـرعه معـا، ونعتقـد أن المسـلم مهمـا كان شـأنه يصلـي عليـه حيثمـا تيسـرت لـه الظـروف، ولا يسـمح لأحـد أن يسـيء بجنانـه الشـريف.

وهنـاك فريـق مـن المسـلمين يبـرزون محبتهـم عـن طريـق عقـد الاحتفـالات، وقـراءة الأناشـيد، وفريـق يؤكـدون بـأن المحبـة الصادقـة الالتـزام بالكتـاب والسـنة، ورفـض البـدع والمحدثـات.

ومما لا يختلـف فيـه اثنـان أن السـلوك على الطريقـة الأخيـرة هـي الطريقـة السـليمة والمرضيـة.

نسـأل الله المولـى القديـر أن يوفـق الموجّهيـن والدعـاة المخلصيـن بالدعـوة إلـى الديـن الخالـص والصـراط المسـتقيم الـذي لا يزيـغ عنـه إلا زائـع، وصلـى الله على سـيدنا ونبينـا محمـد وآلـه وصحبـه وسـلم.

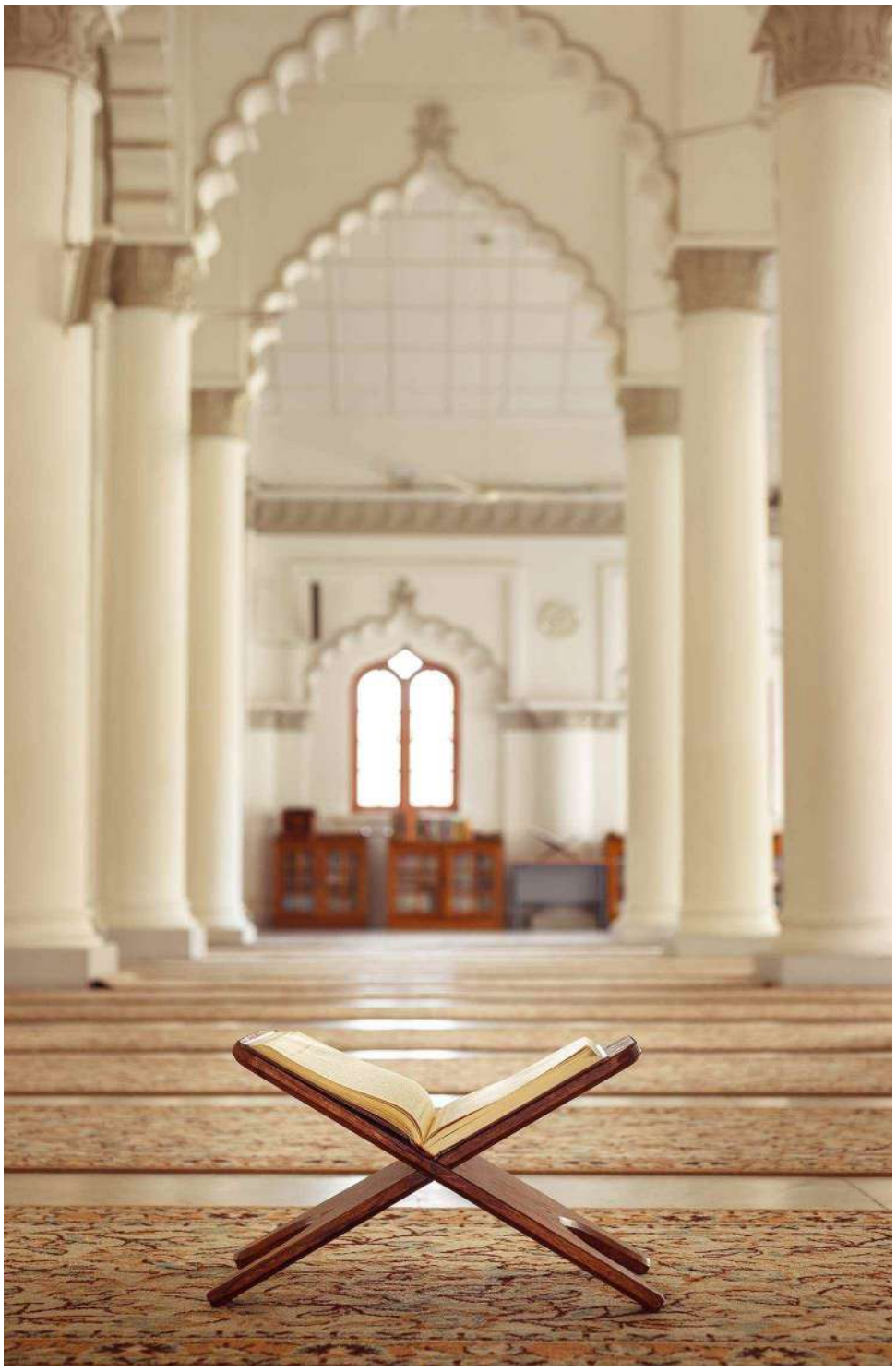

قيمة الحرية في القرآن الكريم

الدكتور محمد علي الصلابي

من مقاصد القرآن الكريم إبطالُ عبودية البشر للبشر، وتعميم الحرية لكل الناس، ومن قواعد الفقه قول الفقهاء: «الشارعُ متشوِّفٌ للحرية». فذلك استقراؤهم من تصرفات الشريعة؛ التي دلت على أنّ من أهم مقاصدها إبطال العبودية وتعميم الحرية، ولكن دأبُ الشريعةِ في رعي المصالح المشتركة، وحفظ النظام العام وقفَ بها عن إبطال العبودية بوجه عام، وتعويضها بالحرية، وإطلاق العبيد من ربقة العبودية، وإبطال أسباب تجدّد العبودية، مع أنّ ذلك يخدم مقصدَها، كان ذلك التوقف من أجل أنَّ نظامَ المجتمعات في كل قطر قائمٌ على نظام الرق، فكان العبيدُ عمّال في الحقول، وخدم في المنازل والغروس، ورعاة للأنعام، وكانت الإماء حلائل لسادتهن، وخادمات في منازلهم، وحاضنات لأبنائهم، فكان الرقيقُ لذلك من أكبر الجماعات التي أقيمَ عليها النظام العائلي والاقتصادي والاجتماعي لدى الأمم حين طرقتهم دعوة الإسلام، فلو جاء الإسلام بقلب ذلك النظام رأساً على عقب؛ لانفرط عقدُ نظام المدينة انفراطاً تعسر معه عودة انتظامه، فهذا موجب إحجام الشريعة عن إبطال الرق الموجود، وأما إحجامها عن إبطال تجدد سبب الاسترقاق الذي هو الأسر في الحروب، فلأن الأمم التي سبقت ظهور الإسلام قد تمتعت باسترقاق من وقع في أسرها، وخضع إلى قوتها، وكان من أكبر مقاصد سياسة الإسلام إيقاف غلواء تلك الأمم، والانتصاف للضعفاء من الأقوياء، وذلك ببسط جناح سلطة الإسلام على العالم، وبانتشار اتباعه في الأقطار، فلو أن الأمم التي استقرت لها سيادة العالم من قبلُ أمنت عواقب الحروب الإسلامية ـ وأخطر تلك العواقب في نفوس الأمم السائدة الأسر والاستعباد والسبيُ ـ لما ترددت الأمم من العرب وغيرهم في التصميم

على رفض إجابة الدعوة الإسلامية اتكالاً على الكثرة والقوة، وأمناً من وصمة الأسر والاستعباد.(بنعاشور،2004، ص393) كما قال صفوان بن أمية في مثله: لأن تربُّني قريشٌ خيرُ من أن تربُّني هوازن.

وكما قال النابغة:

حذاراً على أن لا تُنالَ مقادتي...ولا نسوتي حتى يَمُتْنَ حرائرا

فنظر الإسلامُ إلى طريقٍ بين مقصدي: نشر الحرية وحفظ نظام العالم، بأن سلَّط عوامل الحرية على عوامل العبودية مقاومة لها لتقليلها، وعلاجاً للباقي منها، وذلك بإبطال أسباب كثيرة من أسباب الاسترقاق، وقصره على سبب الأسر خاصة، فأبطل الاسترقاق الاختياري، وهو بيع المرء نفسه، أو بيع كبير العائلة بعضَ أبنائها، وقد كان ذلك شائعاً في الشرائع، وأبطل الاسترقاق لأجل الجناية، بأن يُحْكَمَ على الجاني ببقائه عبداً للمجني عليه، وقد حكى القرآن عن حالة مصر: «قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ» [يوسف: 75]. وقال: «كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ» [يوسف: 76].

وأبطل الاسترقاقَ في الدِّين الذي كان شرعاً للرومان، وكان أيضاً من شريعة سولون في اليونان من قبلُ، وأبطل الاسترقاقَ في الفتن والحروب الداخلية الواقعة بين المسلمين، وأبطل استرقاق السائبة، كما استرقت السيارةُ يوسف عليه السلام إذ وجدوه.

ثم إن الإسلام التفت إلى علاج الرق الموجود، والذي سيوجد، بروافع ترفعُ ضرر الرق، وذلك بتقليله عن طريق تكثير أسباب رفعه، وبتخفيف اثار حالته، وذلك بتعديل تصرف المالكين في عبيدهم الذي كان مالكه معنتاً. (بنعاشور،2004، ص 393)

ومن منافذ الحرية للأرقاء التي فتحها الإسلام:

1 ـ جعل الإسلام تحرير الأرقاء قربة إلى الله: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ » [البلد: 12].

2 ـ كفارة يمين الحانث: إطعام عشرة مساكين، أو تحرير رقبة.

3 ـ كفارة الظهار لمن أراد أن يرجع زوجته بدايتُه تحرير رقبة، قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » [المجادلة: 3].

4 ـ من أفطر في نهار رمضان: فعليه كفارة، منها تحرير رقبة.

5 ـ ملك اليمين إذا أنجبت من سيدها، تسمّى «أم ولد»، فإذا مات سيدها قبلَها صارتْ حرةً.

6 ـ المكاتبة: أن يتفق العبدُ مع سيده على مبلغٍ من المال يدفعه، أو يقوم بعمل يصيرُ بعده حراً، قال تعالى: «الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ»[النور: 33].

7 ـ العبد الذي يملكه اثنان أو جماعة، فإذا حرَّرَ واحدُ منهم نصيبه، امتنع أن يباع العبد.

8 ـ تحرير الأرقاء مصرف من مصارف الزكاة، قال تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» [التوبة: 60].

لقد انقرض الرق أمام أبواب الحرية التي فتحها الإسلام، ولم يكن الإسلام أول من أباح الرق، بل كان أول من حرر الأرقاء بأسلوب منطقي، بأسلوب الترغيب تارة وبأسلوب الترهيب تارة أخرى عن طريق الكفارات، كما رأينا.(الهاجري والعامري،2005، ص107)

لقد قتل الإسلام مشاعر الإحساس بالعبودية، بأن ترفّع عن نداء العبد بكلمة عبدي، وإنّما بأسلوبٍ أرقى، وهو كلمة: غلامي وجاريتي، وفتاي وفتاتي، قال صلى الله عليه وسلم: «لا يقولنّ أحدُكم عبدي وأمتي، وليقل فتاي وفتاتي، ولا يقل أحدكم: ربِّي، وليقل سيدي».

وقد نهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن التشديد في الخدمة، ففي الحديث: «لا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه فليعنه»، والأمر بكفاية مؤنتهم وكسوتهم، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عبيدكم خَوَلكم، إنما هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جُعِلَ أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس» ونهى عن ضربهم الضرب الخارج عن الحد اللازم، فإذا مثّل الرجل بعبده عتق عليه. (بنعاشور،2004، ص395)

فمن استقراء هذه التصرّفات ونحوها حصل لنا بأنَّ الشريعةَ قاصدةٌ بثَّ الحرية، والقضاءَ على العبودية للمخلوق.

أسباب تدلي منزلة العلماء

مجتبى أمتي

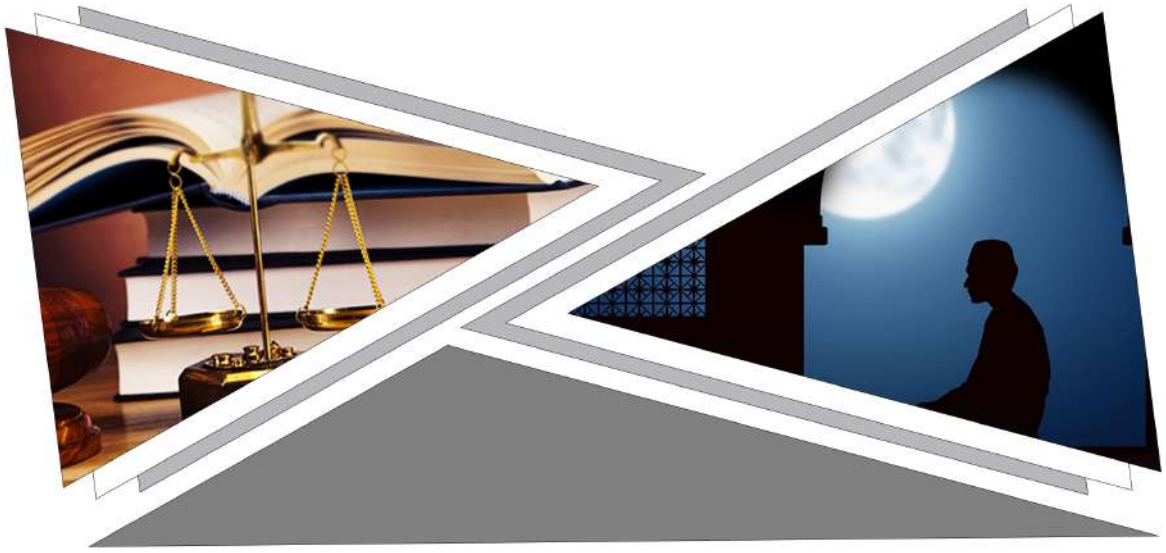

حديثي في هذا المقال يرتبط بقلق شغل بالي وبال الكثيرين من المتألمين منذ سنوات وهو تنزل مقام العلماء عند الناس واحتقارهم في الأعين في هذه الآونة الأخيرة، والأسباب المؤدية إلى هذه الرزية والنكبة الدينية والتخلص منها.

يعرف المتأمل في التاريخ الإسلامي أن العلماء منذ عهد النبوة إلى عهدنا هذا كانوا قواد الثورات الإيمانية والأخلاقية والسياسية، ولهم النصيب الأوفر والقدح المعلّى في ذلك، وكانوا أمناء الناس، وموضع الثقة، وموئلهم في جميع القضايا، وقد أكرمهم الله بعلو المنزلة والمقام الرفيع ما لا يكون للملوك والسلاطين وملأهم، يحسدهم الأغنياء وأصحاب الرئاسات في القبائل والشعوب، وقد تطمح النفوس أن يكون ابنهم عالمًا أو متعلما عند عالم، وحسبك في هذا الصدد حكاية أولاد هارون الرشيد -وهو من أقوى ملوك الأرض في زمنه- مع إمام دار الهجرة الإمام مالك -رحمه الله- إذ قال لهارون بعد طلبِه أن يأتي الإمام مالك إلى دار الخلافة لتعليم أولاده: «العلم يؤتى ولا يأتي». فالمعلوم الظاهر من هذه الحكاية وأمثالها أن الملوك كانوا راغبين ومباهين أن يتعلم أولادهم عند العلماء، والعلماء يبدون الاستغناء والتعفف عن بابهم، ويردون عليهم بهذه الأجوبة المستشعرة بالإيمان، المليئة بالغيرة احتفاظًا بكرامة علم الدين.

وقد حكى برهان الدين الزرنوجي -رحمه الله- في كتابه «تعليم المتعلم طريق التعلم» قصة أخرى تدفع القارئ إلى العجب والتأمل، وهي أن الخليفة هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي ليعلّمه العلم والأدب، فرآه يومًا يتوضأ ويغسل رجله، وابن الخليفة يصب الماء على رجله، فعاقب هارون الرشيد الأصمعي في ذلك بقوله: «إنما بعثته لتعلّمه وتؤدّبه، فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه ويغسل بالأخرى رجلك؟! (تعليم المتعلم، صفحة 22)

والفضل في ذلك يعود إلى الأصمعي -رحمه الله- إذ احتل هذه المكانة المرموقة بعلمه وعمله وتقواه، واستمال قلب الخليفة ليماثله أبناءُه.

وقد أورد إبراهيم زنكنة في حياة مولانا «أبي بكر التايادي» -رحمه الله- قصة طريفة من لقاءه مع الأمير تيمور الأعرج الكوركاني في عام 772 هـ.ق إذ وقف جيوشه خارج تاياد واستدعاه للزيارة، فأجابه بكلمة مليئة بغنى

النفس وعدم المبالاة بأمر الحكام الجبابرة وسطوتهم قائلا: «لا حاجة للفقير بالأمير»، وفورَ استماع هذه الكلمة أتاه الأمير تيمور الكوركاني بنفسه ونصحه أبو بكر التايبادي بنصائح منها: لو لم تعدل بين العباد لسلّط الله عليك الآخر، فقال الأمير تيمور بعد هذه الزيارة: «لم أزر من جالسي الزاوية أحدًا إلا وارتعدت فرائصه وارتعدت منه» ثم اتجه نحو هرات. (تاريخ تايباد ورجالها، صفحة 167 و168).

قال العلامة الندوي -رحمه الله- في كتابه القيّم «الأركان الأربعة»: «لم يزل تاريخ الدعوة والعزيمة، وتاريخ الإيمان والعقيدة يعيد نفسه في كل عصر ومصر، فقد روى المؤلف الهندي الشيخ «محمد بن مبارك الكرماني» قصة مماثلة يقول: «طلب السلطان «محمدتغلق» الشيخ «قطب الدين المنور» -من شيوخ الهند الكبار م757- إلى دهلي يعاتبه أو يعاقبه على عدم الحضور لتحية الملك، وقد مر بجواره، فلما حضر البلاط ودخل الديوان رأى الأمراء والوزراء والحكام ورجال البلاط واقفين سماطَين متخشعين مسلَّحين في هيئة تنخلع منها القلوب، وكان معه ولده نور الدين، وكان حديث السن لم يزر بلاط الملك في حياته ففزع لهذا المنظر الغريب وامتلأ رعبًا، فناداه أبوه الشيخ قطب الدين بصوت عال قائلا: يا ولدي العظمة لله! يقول نور الدين: إني استشعرت في نفسي قوة غريبة بعد هذا النداء، وزالت الهيبة من نفسي وذابت، وبدا الجميع عندي كأنهم قطيع من ضأن أو معز» (الأركان الأربعة صفحة 40 و41).

ولا يقولن القائل: أين نحن من السلف؟! وقد كثرت المغريات في زمننا وبعد عهدنا عن النبوة؛ فإن لهذا الدين في كل زمن عدولًا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، فإن شئت أن تعثر على ذلك فطالع كتاب السيد عبد الماجد الغوري وكتاب عبد اللطيف الناروي في حياة العلامة الندوي -رحمه الله- لقاءاته وزياراته مع الملوك، وصدعه بالحق، وتعففه عن الأموال والمناصب يُملأ قلبك بشارة وإيمانا. منها: «إن جنرال «ضياء الحق» أهدى للإمام مائة ألف روبية، لكنه أهدى نصفه لزوجة الشيخ سليمان الندوي ونصفه الآخر لدار المصنفين ورفض أن يستفيد من المبلغ لنفسه».

قال بلال عبد الحي الحسني: «أهدى رجل من محبي الإمام الندوي له سيارة غالية قبل وفاته بعام، لكنه امتنع عن القبول، فبكى الرجل، فقبلها الإمام الندوي تسلية لنفسه وجبرًا لخاطره، ثم قال بعد لحظات: أهديها لك فتقبل مني!»

«وفي عام 1417 هـ.ق خُصّص له جائزة حاكم دبي بمبلغ يساوي مليون درهم لكنه أبى عن قبوله ووقفه لتعليم الدين في الساعة» (السيد أبو الحسن الندوي -رحمه الله- إمام الدعوة والإصلاح)

وهكذا رفض الهدايا المالية للملك عبد الله بن حسين الأردني وملك فيصل السعودي، ويأبى أن يُضاف في الفنادق، وينزل ببيوت أصدقائه والمساجد، ويعتزل عن الأموال، ويتعفف.

وكتب التراجم تزخر بهذه الحكايات والقصص البطولية والرجولية والذب عن كرامة الدين، ما يقف الدارس أمامها مشدوها ويتساءل نفسه: ما هي الأسباب التي خضعت لهم الرقاب وانقادت لهم القلوب بسببها، واستطاعوا أن يؤدوا رسالتهم أمام الطغاة والجبابرة شأن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؟!

وهذا هو الموضوع المعني به في هذا المقال ونحاول البحث عنه.

يعلم الباحث المتأمل الممعن للنظر أن العلماء الربانيين يتفقون على سمات وميزات جعلتهم ممتازين، وشقّت لهم الطريق فكانوا خلفاء الأنبياء بحق، وساروا على دربهم، وانتهجوا بمنهجهم.

الميزة الأولى التي امتاز بها هؤلاء هي الإيمان بالله وبصفاته، والتوكل عليه في السراء والضراء، والعسر واليسر، والفقر والغنى، ولم يكونوا يرون لله ولنصره عديلًا ولا عوضًا، ولا يلتفتون يمنة ويسرة، فكان هذا نتيجة تأملاتهم في القرآن، وصلتهم الوثيقة به، وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار بالخشوع والتدبر.

الميزة الثانية التي رفعت قدرهم، وأعلت منزلتهم، فصارت كلمتهم مسموعة وإشارتهم طوعا هي التعفف والاستغناء عن الأموال والمناصب إذ يرددون هذا الشعار ويطبقونه عمليًّا هو: «وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ». (الشعراء: 109) و«أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ». (المؤمنون: 72) «اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ» (يس: 21) والحديث النبوي: «مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله»، وجعلوا العمل النبوي لأنفسهم مثالا يُقتدى به، إذ قال: «من ترك مالا فلورثته ومن ترك دينًا فإلي وعلي».

المشهود أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مقام

المقتدى والداعي إلى الله خفّف أثقال الناس وأحمالهم إلى أن حرّم على نفسه وذريته أرجاس أموال الناس وهي الزكاة، وبعد تحريم الربا في أول الوهلة وضع ربا العباس وكان من أربى الناس، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «أول ربا أضعه ربا العباس» حتى لا يتردد الناس أنه يأمر بالزكاة لنفسه لذريته ولأقربائه، فيختل أمر النبوة، ويُخدش فيه، وتزول آثار الدعوة، وتكون أثرًا بعد عين، وربى جيلًا مؤمنا بالله، متوكلًا عليه، مستغنيًا عن الأموال والمناصب، لا تفزعهم مهابة الملوك، ولا تستخفّهم زهرة دنياهم، وحسبك في ذلك قصة ربعي بن عامر ومغيرة بن شعبة -رضي الله عنهم- مع رستم في خيمته المكلّلة بالجواهر، وعدم اكتراث الصحابيين بها، وأشعلا صراعًا نفسيا في قلوب الإيرانيين حتى قال رستم: «هؤلاء قوم لا قبل لنا بهم»، والصحابة كانوا بعيدين عن المدنية الزاهرة يعيشون في عزلة عن العالم المتمدن الراقي، لكنهم عند المواجهة والالتقاء به لم ترعهم هيبة الدنيا، وما مسّ قلوبهم شيء منها، وإيران قديمًا كآمريكا في الأبهة والقدرة والثروات والذخائر، وتصور لو دولارات آمريكا وثرواتها إلى قرية صغيرة عديمة الإمكانيات، فاقدة أحوج الضروريات، ماذا يحدث في القلوب؟! أهي على حالها أم تتغير؟!

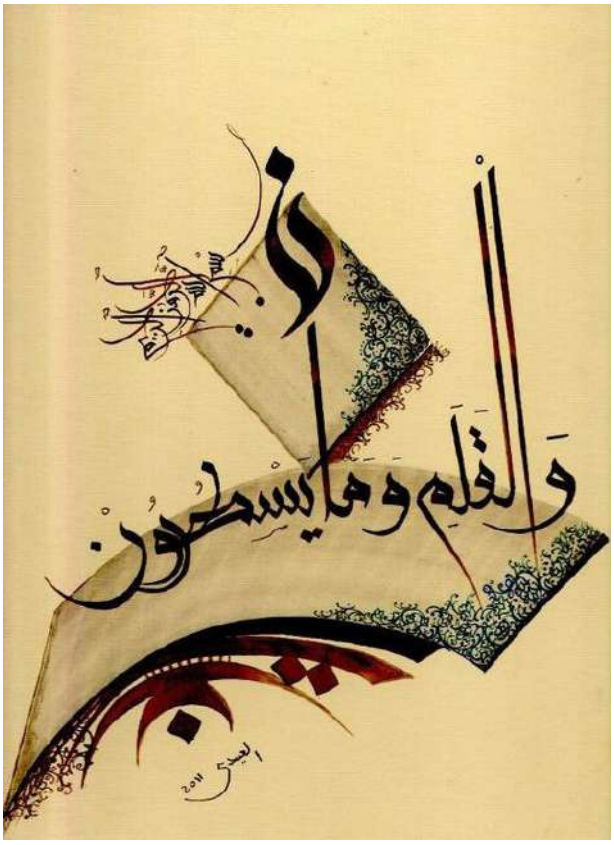

فليحاسب العلماء أنفسهم، وليراجعوها، ويجعلوا الإصبع على موضع الألم!

قال الإمام الندوي -رحمه الله-في إحدى مقالاته وهو يتكلم عن سر نجاح دار العلوم ديوبند وندوة العلماء: «سر نجاح هذه المدارس -كديوبند وشقيقاتها- في أداء رسالتها ونشر الدين أنها لم تكن تنال مساعدة من الحكومة، وكانت قائمة على أساس الزهد والتضحية والجهاد، فأثار ذلك فيها روح المقاومة والجهاد وقوة العمل والنشاط» (مقالات إسلامية في الفكر والدعوة ج2 صفحة 151)

رزية إذا تحولت المدارس الدينية -وهي في الحقيقة ثكنات إيمانية، ومعاقل معنوية، وعساكر دعوية- إلى دُور الكسب، ويُنظر إليها نظرة التجار إلى السوق، يبيعون فيها بضائعهم ويربحون؛ إذا تتدلى المنزلة، ويتجرأ الناس على الطعن واللوم، وتتكثر الخصومات، وتقلّ الغيرة على الدين، تخرس الألسن وتعمى الأبصار، ويتسرب الفساد إلى القلوب، فيمحى الحق ويظهر الباطن، ولا تزال الحكومات تسعى أن تجعل أغلالا على أعناق العلماء إما بالتهديد وإما بالتطميع، وتخمد الثورات الإيمانية التي يُشعلها العلماء الربانيون ودعاة الحق، والمشكلة هي أن العلماء وهم ورثة الأنبياء وخلفاؤهم ونوّاب الدين تناسوا رسالتهم نحو الأمة، وتغاغلوا عنها، وارتضوا بالعيش، واختاروا حياة عادية كسائر الدهماء، ولم يضطلعوا بأعباء الدين، ولم يذبّوا عنه، فانخفضت المعنويات في المجتمع، وزالت القيم الخُلقية والروحية، وقل شأن أصحابها، ومن ثم سقطت منزلة العلماء؛ إذ لم يُثبتوا جدارتهم وكفاءتهم لتعليم الناس وتبليغهم، ولم يغيروا التيار اللاديني الذي يحارب الدين وعلماءه؛ فتأمل إن شئت تاريخ أوروبا في القرون الوسطى، وتنحي العلماء المسيحية عن أداء رسالتهم، وتتابع المصائب على أهل الدين، والنفرة الدينية التي سادت أوروبا.

فالمرجو أن تغير المدارس الدينية مناهجها التربوية والفكرية، وتُخرج رجالًا أكفاء يمثّلون دور العلماء الربانيين، يكون شعارهم نصرة الدين بالمال والنفس، وأن يضحوا في ذلك الغالي والنفيس حتى يحدث الله بعد ذلك أمرا.

رسالة عدد من مديري الجوامع الدينية وأئمة الجمعة -من أهل السنة- في خراسان الرضوية إلى إخواننا في زاهدان وعلى رأسهم مولانا الشيخ "عبد الحميد" -حفظه الله ورعاه- إدانة لما حدث في الجمعة الدامية

أعربت مجموعة من مديري المدارس وأئمة الجمعة من أهل السنة في خراسان الرضوية في رسالة لشيخ الإسلام مولانا "عبد الحميد" عن بالغ أسفهم لما حدث للمصلين يوم الجمعة الدامية في زاهدان مرسلين تعازيهم ومظهرين مواساتهم له ولجميع إخوانهم من سكان تلك المنطقة، وطالبوا الجهات المختصة بـ"إجراء تحقيق مفصل ونزيه في الموضوع" و"معاقبة كل المجرمين المساهمين في وقوع هذا الحادث المرير دون أي مجاملة وتسامح"

وفيما يلي نص رسالتهم:

بسم الله الرحمن الرحيم.

"اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ"

إلى سماحة شيخ الإسلام مولانا عبد الحميد -حفظه الله ورعاه- إمام الجمعة المبجّل لإخواننا أهل السنة في زاهدان:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد مرت أيام عصيبة جدًا بجنابك وأبناء منطقتك؛ فالحزن والأسف البالغان بسبب استشهاد وإصابة عدد كبير من المصلين الزاهدانين المظلومين المضطهدين (في صلاة الجمعة في الثامن من تشرين الأول 1401) من جهة، ومن جهة أخرى عدم مراعاة النصح والعدل والإنصاف من جانب بعض وسائل الإعلام والقنوات الإخبارية التي اختلقت اتهامات كاذبة -ورمت بها شعب زاهدان المظلومين الأبرياء- كـ"الانفصاليين" و"الإرهابيين" وما إلى ذلك من الوصمات التي لولا فراستك وتدابيرك الحكيمة ومساعي رفقتك الإيجابية لأدت إلى كوارث أشنع وأفظع.

نحن الموقعون تأييدًا على هذا البيان -الذين ذكرت أسماءهم فيما يلي وسائر العلماء وأهل السنة في خراسان الرضوية- ضمن تقديم خالص تعازينا ومواساتنا لسعادتكم ولجميع الأسر المفجوعة المكلومة نتمنى الشفاء العاجل من الله للمصابين في الحادث. وبينما نعبر عن استيائنا من هذه الحادثة المريرة نطلب من الحكومة والسلطات المعنية إجراء تحقيق شامل ونزيه في تحديد ومعاقبة مرتكبي هذا القتل الوحشي، وتهدئة المنكوبين، ودفع الغرامة والتعويض عن الخسائر الفادحة التي أصابت الناس وممتلكاتهم، كما نطالب باتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لتوفير السلام والأمن.

أسماء الموقعين:

1- حبيب الرحمن مطهري مدير جامعة "أحناف" بـ"خواف"

2- عبد الله موحدي إمام الجمعة في منطقة "لاج" (خواف)

3- خواجة صدر الدين أحراري إمام الجمعة في مدينة خواف

4- نور الله فرقاني مدير دار العلوم الإسلامية وإمام الجمعة في "خليل آباد" (خواف)

5- عبد الغفور مسلمان مدير جامعة "تعليم القرآن" في نشتيفان.

6- حبيب الله طاهري مدير جامعة "خادم القرآن" العلمية وإمام الجمعة في مدينة "سنجان".

7- عبد المجيد رجبعلي زادة مدير جامعة "أنوار العلوم" بخيرآباد.

8- عبد الرحيم خواجة إسماعيلي مدير مدرسة الإمام أبي حنيفة وإمام الجمعة لمدينة كاريز (تايباد).

9- سيد إبراهيم فاضلي مدير جامعة أحناف الإسلامية في تايباد

10- علي خبري مدير جامعة "صديقيّة" في تربت جام.

11- غلام نبي توكلي إمام جمعة لمدينة تايباد

12- عبد الباري صالحي مدير جامعة "مالك الملك" في تايباد.

13- عبد البصير كريمدادي مدير جامعة "مولانا أبي بكر التابادي"

14- عبد الكريم علي باي إمام الجمعة في مدينة مشهد ريزة

15- عبد العزيز كردستاني مدير جامعة "تعليم القرآن" في صالح آباد.

16- سيد يحيى فاضلي مدير جامعة "تعليم القرآن والسنة في "شورك ملكي" بـ"مشهد"

الأمة على شفا جرف هار

نعيم فاضلي

فكرت كثيرا حول أي موضوع أكتب، انهالت على ذاكرتي موضوعات كثيرة، ولكن ضميري يأبى أن يختار شيئا منها، وخاطبني ضميري وقال: لابد أن تنتخب موضوعا يلائم العصر الذي تعيش فيه، أحجمت عن اختيار الموضوع وأطلقت العنان له حتى يختار لي موضوعا. بعد لحظات سمعت هاجسا يهجس لي: صف الحالة الراهنة التي تكون فيه الأمة! أردت أن أنصرف من هذا الموضوع؛ لأنني لم أر في وسعي أن أكتب حولها، ولكن ضميري لا يزال يُلح علي أن أسوق القلم إليه، لبّيت دعوته بعد التجاذب الذي حدث بيني وبينه، ولكني لم أعرف من أين أبدأ مقالتي، وجدته قد تركني ورافق الأمة التي أصيبت بجراحات عديدة.

الشيء الذي استرعى انتباهي كثيرا هو فقدان الشباب ثقتهم بدينهم وعقيدتهم.

لا يزالون يقضون حياتهم وأيامهم في قلق فكري واضطراب نفسي! تشبّعوا بالأفكار اللادينية، وخضعوا للعقل خضوعا تاما، أرادوا أن يصبّوا كل أسرار هذا العالم في وعاء العقل، ووزنوا الغيبيات بالميزان البشرية، اختاروا طريقا دون أن يطلعوا على مقصده، ستر الشك والترديد قلوبهم، لا يخرجون من بئر إلا يقعون في أخرى أكبر منها، أصبح الترديد كثعبان تحلق على عنقهم ولم يستطيعوا أن يتخلصوا منه! مع الأسف تشتبه أحوالهم بحال المنافقين كما ذكر الله في شأنهم: «وَ رتَابَت قُلُوبُهُم فَهُم فِى رَيبِهِم يَتَرَدَّدُونَ»(سوره التوبة/45)

هذا الذي أقلق العلماء والدعاة، ودهشوا وتحيروا كثيرا، وبحثوا عن سبب انتشار هذا المرض في المجتمع، وبذلوا النفس والنفيس في متابعة هذا الموضوع.

لقد شعر بهذا المرض الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي -رحمه الله- منذ سنين، وكتب مقالة وسمّى اسمها «ردة ولا أبا بكر لها» وبحث في هذ الكتاب حول الردة التي نشأت في جيل المثقف، وتوعّد الدعاة، وعظّم شأن هذه الفتنة، وضخّم نفوذها في المجتمع وقال: هي موجة جاهلية تكتسح العالم الإنساني من أقصاه إلى أقصاه، وهي أعظم موجة واجهها العالم الاسلامي في تاريخه الطويل، وهي تفوق كل موجة معارضة عرفها التاريخ الاسلامي. سواء في قوتها وفي شمولها، وفي تأثيرها

في المجتمع الاسلامي، وتمتاز عنها بأن المنتبهين لهذه الأخيرة قلائل، والذين ينقطعون إلى محاربتها ويجندون لها قواهم ومواهبهم أقل.

من أين جاء هذا الداء؟! من أين بدأ هذا السيل الجارف من أين وُجدت هذه الثلمة، كيف تسرب فيهم هذا المرض؟! من يبيح لهم أن يتحكّم ويتصرف في الأمور الشرعية؟! كيف امتلأت أذهانهم شكوكًا وارتيابا؟!

لقد بحث بعض علمائنا عن سببها، ووصلوا إلى نتائج إيجابية كمثل الشيخ «عبد الرحمان حسن حبنكة» تابع هذا الموضوع متابعة دقيقة، وألّف كتابًا وسمّاه: «صراع مع مَلاحدة حتى العظم»، وفسر في كتابه نشأة الإلحاد: من أين تسرب في شعبنا المسلم، أترك المجال للشيخ أن يفسر لنا:

«نلاحظ أن النصرانية لما سقطت في طائفة من المفاهيم الباطلة الدخيلة على أصل الدين والمخالفة له والمناقضة لأصول العقل والعلم الصحيح، حاولت أن تتخلص من ورطتها هذه بمقالتها المشهورة : «الدين لا يخضع للعقل»، وأطلق علماؤهم بين أتباعهم بكلمتهم المأثورة «أطفئ مصباح عقلك واعتقد وأنت أعمى»، وحرموا التفكير والنظر في مسائل الدين، وفرضوا عليهم التسليم الأعمى بالإله المثلث دون مناقشة ولا نظر، مع أن أصول العقل السليم ترفض هذا رفضا قطعيا، ولا تسلم به النفوس إلا مع تعطيل منطق العقل، ورافق ذلك أنهم أقفلوا باب العقل والبحث العلمي نهائيا عن كل مسألة تعرضت إليها نصوص دينهم، حتى ما كان منها متعلقا بواقع الكون الذي تستطيع الوسائل الإنسانية أن تصل إلى معرفته».

واصل الشيخ موضوعه وبين نتيجة رفض العلماء النصارى العلم ومنطق العقل وبث الإحاد فيهم.

ظل رؤساء الدين عندهم يهيمنون على أتباعهم بهذه الحجة: «أن الدين لا يخضع لمنطق العقل» حتى قامت الثورة المادية الحديثة، ففجرت جوانب البحث العلمي في كل مجال من المجالات العلمية التي يستطيع الإنسان أن يتوصل إليها، وأيقظت الفكر النصراني من سباته الذي لازمه قرابة خمسة عشر قرنا، ثم امتد أثره إلى الأمم الأخرى، وبدأوا يتشككون في صحة ديانتهم من أساسها، وقام الصراع المعروف بين قوتين: قوة تقليدية لها مؤسسات ورياسات دينية، وقوة أخرى سبيلها إلى النهوض المادي عن طريق البحث العلمي، ومناقشة الأمور بالعقل والمنطق وسائر وسائل البحث الإنساني للوصول إلى المعرفة الصحيحة، وانتهت معركة الصراع بمحاصرة الديانة النصرانية وحجزها داخل جدران الكنيسة، ثم أخذت الأجيال النصرانية سبيلها إلى إنكار ديانتهم، والشك في صحتها من أساسها. عاشت في فراغ فكري وروحي خطير، وفي هذا الجو النفسي المستعد لملئه بشيء آخر.

نشط دعاة الإلحاد الماديون يبثون أفكارهم الإلحادية، واستغلت اليهودية العالمية هذا الواقع أو ساهمت في التدبير له، وشحنته بما يلزم من الآراء الإلحادية، والنظريات الخادمة لقضية الإلحاد، فأخذ الإلحاد ينتشر في أوروبا انتشار النار في الهشيم، وتبعتها شعوب أخرى، ودار دولاب الانهيار في الغرب والشرق متسارعا بشكل خطير مؤذن بدمار قريب تتحقق فيه سنة الله في الأمم.

لقد زاد الشيخ أبو الحسن الندوي شرحا وتفسيرا في هذا الموضوع وقال: لقد مضى علينا قرن كامل وأوروبا تغتصب شبابنا وعقولنا، وتُنبت في عقولنا الشك والالحاد والنفاق وعدم الثقة بالحقائق الإيمانية والغيبية، والإيمان بالفلسفات الجديدة الاقتصادية والسياسية.

كذلك استغل اليهود والملحدون هذه الفرصة لتكميل أمنياتهم وتحقيق أحلامهم كما ذكر الشيخ حسن حبنكة في كتابه الآخر باسم: «مكايد يهودية عبر التاريخ» (برامج اليهود في بث الإلحاد). قال:

«ويسير المخطط اليهودي في محاربته للدين في جميع المؤسسات اليهودية على مراحل منها ما يلي:

المرحلة الأولى :

بث النظريات الالحادية التي تنكر وجود الله، وتنزع الأفكار الدينية كلها من رؤوس الناس وقلوبهم؛ لذلك نجد في بروتوكولات حكماء صهيون قولهم في البروتوكول الرابع: «يجب علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود، وأن نضع مكانها عمليات حسابية ورغبات مادية».

المرحلة الثانية:

محاولة الحط من كرامة القيادات الدينية غير اليهودية، والحد من نشاطهم، وقصر تعاليمهم وتوجيهاتهم على جانب صغير من الحياة، لا يعرقل سبيل التوسع اليهودي وتغلغله في كل مجال، حتى يكون تأثيرهم على الناس سيئا، ثم التلاعب بالمفاهيم الدينية حتى يكون تأثيرها مؤيدا للمخطط اليهودي العام بطريقة سلبية أو ايجابية.

لقد عرفنا أن هذا الارتداد والالحاد الذي يموج في شعبنا، ذلك وليد غلو العلماء النصارى في الأمور الدينية وكذلك مكايد قواد اليهود الذين لا يزالون يهجمون على ثقافتنا، ولا يرضون حتى نتبع ملتهم ونكفر بما سواها كما قال الله تبارك : «وَلَن تَرضَىٰ عَنكَ ٱليَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ

تَتَّبِـعَ مِلَّتَهُم»(سـوره البقـرة/120)

وزادت الطيـن بلـة غفلـة علمائنـا ودعاتنـا وأصحـاب مدارسـنا في هـذا الجانـب، لا يتجاوبـون مـع شـعبهم ومجتمعهـم، ليسـت آراؤهـم ونظرياتهـم ومنظماتهـم ومؤسسـاتهم ومناهجهـم الدراسـية أن تقلـل مـن نـار الـردة ولهبهـا، بـل كل يـوم تزيـد حرارتهـا وهـم يشـاهدون مشـاهدة الرجـل الـذي احتـرق بيتـه وهـو ينظـر ويتأسـف ويتـأوّه ولا يفعـل شـيئا لإطفـاء النـار.

مـا واجبنـا أمـام هـذه الأزمـة الكبـرى؟! مـا هـي مسـئولية العلمـاء؟! لا سـيما أصحـاب المـدارس الذيـن يلعبـون دور قلـب نابـض للأمـة؟

كيـف نحـرر شـبابنا المثقـف مـن رق الفلسـفات الغربيـة والحضـارة العصريـة ونظرياتهـا اللادينيـة؟! مـا هـو المفتـاح الـذي نسـتخدمه لفتـح هـذا القفـل؟!

لقـد أجـاب الشـيخ النـدوي بعـض أسـئلتنا ويرشـدنا ويقـول: «إن العالـم الإسـلامي في حاجـة مُلِحّـة إلـى منظمـات علميـة تهـدف إلـى إنتـاج الأدب الإسـلامي القـوي الجديـد الـذي يعيـد الشـباب المثقـف إلـى الاسـلام بمعنـاه الواسـع مـن جديـد ويحررهـم مـن رق الفلسـفات الغربيـة التـي آمـن بهـا كثيـر منهـم بوعـي ودراسـة، وأكثرهـم بتقليـد وتسـليم، ويقيـم في عقولهـم أُسـسَ الإسـلام مـن جديـد، ويغـذي عقولهـم وقلوبهـم، إنـه في حاجـة إلـى رجـال في كل ناحيـة مـن نواحـي عالـم الإسـلام عاكفيـن على هـذا الجهـاد».

نعـم إخوانـي في الله! يجـب أن تبـدأ انتفاضـة جديـدة مـن قبـل الدعـاة والعلمـاء، يشـمرون عـن سـاق الجـد، ويبذلـون قصـارى جهودهـم، يسـتجمعون قواهـم وتفكيرهـم، لأن العمـل لا يُجـدي نفعـا، إذا لـم يدعمـه تفكيـر هـادئ عميـق، ويخططـون ويبرمجـون برامـج جديدة تُقنع الشـباب إقناعـا علميـا، وتعيـد إليهـم السـكينة والطمأنينـة التـي فُقـدت منـذ سـنين.

❁❁❁❁❁❁

❁❁❁

❁

سل الخليفة إذا وافت منيته

باتوا على قلل الجبال تحرسهمْ
واستُنزلوا بعد عز عن معاقـلهمْ
ناداهمُ صارخ من بعد مـا قُبروا
أين الوجوه التي كانت منـعّمةً
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهمْ
قد طالما أَكلوا دهرا وما شربـوا
وطالما عمَروا دُورا لتحـــصنهم
وطالما كنَزوا الأموال وادخـــروا
أضحت منازلهـم قفرا معطلةُد
سـل الخليفة إذ وافـت منيته
أين الكنوز التي كانت مفاتحها
أين العبيد التي أرصدتهم عددا
أين الفوارس والغلمان ما صنعوا؟!
أين الكُفاة ألم يكفوا خليفتهم
أين الكماة التي ماجوا لما غضبوا؟!
أين الرماة ألم تمنع بأسـهمهم
هيهات ما صنعوا ضيما ولا دفعوا
ولا الرُشىٰ دفعتها عنك لو بذلوا
ما سـاعدوك ولا وافاك أقربهم
مـا بال قبـرك لا يأنس به أحد
مـا بال ذكرك منسـيا ومطّرحا
ما بال قصرك وحشا لا أنيس به؟!
لا تنكـرَنّ فما دامت على ملك
وكيف يرجو دوام العيش متصلا
وجسـمه لبُنَيّـات الرَّدى عرض

غُلـــبُ الرجال فما أغنَتهمُ القللُ
فأُودعوا حُـــفَرا يا بئس ما نزلوا
أين الأســـرّةُ والتيجانُ والحُللُ؟
من دونهـا تُضرب الأستار والكِلَلُ
تلك الوجـوه عليها الدودُ ينتقلُ
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا
فـفارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
فخلّفوهـا إلى الأعـداء وارتحلوا
وساكنوها الى الأجداث قد رحلوا
أيـن الجنود وأين الخيل والخَوَلُ؟
تنوء بالعصبة المقوَّين لو حملوا؟
أين الحديد وأين البيض والأسلُ؟
أيـن الصـوارم والخطية الذُبُلُ؟
لمـا رأوه صريعـا وهـو يبتهلُ؟
أين الحماة التي تُحمى بها الدولُ؟
لما أتتك سـهام المـوت تتصلُ؟
عنـك المنية إذ وافى بك الأجلُ
ولا الرُّقىٰ نفعـت فيها ولا الحِيَلُ
بل سـلّموك لها يا قبح ما فعلوا!!
ولا يطوف به مـن بينهم رجل؟!
وكلهم با اقتسام المال قد شُغِلوا؟!
يغشاك من كنفيه الروع والوَهَلُ؟
إلا أنـاخ عليه المـوت والوجَلُ
وروحـه بحبـال المـوت متصلُ
وملكـه زائـل عنـه ومنتقـل؟

تربية النشئ الجديد و تحديد الأهداف

إلياس نظري

أصبح الزمان جادا نشيطا، يمر بسرعة ويتقدم إلى الأمام، ويقطع مسافته بخطوات واسعة، بل أوسع مما كنا نتوقعه، لا يرحم الضعيف ولا الشيخ الكبير، ولا يحنو على من بكى، ولا يرق على من شكا، ولا يشفق على من تأخر عن الركب ولو لحاجة أخرته أو مصيبة مسته، يتقدم بحزم، ولا يلتفت يمينا ولا شمالا، ولا يتوقف لحظة ولا لحيظة، أصبح جادا في تواصله، ليس هو ما نعرفه من قبل، فلا يقبل الرجاء ولا الشفاعة، ولا يعرف العدل ولا النصر، وكل ما أقول فيه أقل مما فيه ومن جانب ليس بالمذنب الملوم؛ لأنه لذلك وُضع وبه فُطر ولاخيار له.

تقدم الزمان علميا تقدما يستحق الثناء والتصفيق، وخطا في الصناعة أشواطا بعيدة وكبيرة أصبحت حديث النوادي والمحافل، وبلغ قمم جبال التكنولوجيا مبلغا من حيث لا يحتسب، وله أيضا من الانحطاط إلى الحضيض، واحتضان التقهقر والتدهور والركود وَالهُبوطِ حماسيا واجتماعيا وَأَدَبِيّاً ودينيا نصيب وافر لا ينكر، فأتأسف له، وأتألم.

الزمان يتقدم وفي الحقيقة يتأخر، ويرجع إلى القهقرى لأن المدنية الغربية تسوده، والتعاليم الغربية تغزوه، كله ظلام في ظلام، أحيط بالتخطيطات الأجنبية التي ما ورثها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وخلفاءه الراشدون ولا من تبعهم كإحاطة السوار بالمعصم، غزت البيوت وغشيت القلوب، وأرخت ستارها المذموم على وجه العالم الإسلامي، وقدمت إليه أبشع ما يمكن تقديمها، ووهبته الخلاعة والمجون، وكشفت حديثا عن وجهها القذر ذي التجاعيد والبثور، وخطت خطوات جهنمية للقضاء عليه وإطفاء أواره.

فلنأخذ حذرنا وأسلحتنا الإيمانية، لأن المتأمل لتاريخ الغرب ودارسه منذ بزوغ فجره وصولا إلى أيامنا الحالية هذه لا يجد الكفرة إلا وهم يودون أن نغفل ليميلوا علينا ميلة واحدة، وتشهد بذلك خططهم المدبرة المتوخاة، وخطاباتهم القاطرة بالكبر والغطرسة، وتصريحاتهم الممتلئة بالتهديد والوعيد وما نشاهد منهم عيانا والله أعلم بما تخفي صدورهم، ثم لا تكون ولم تكن مطالبهم تتخلص بأكثر من جملة واحدة (إبادة توحيد الله).

فمن للإسلام؟ فمن للإيمان؟

نفكر ثم نفكر، نجلس في جلسات متتابعة، ناسين راحاتنا نجعل لأنفسنا الكواليس والغرف المغلقة، نصل الليل بالنهار، ونذيب الأجسام ونحرق القلوب ونهرق دموع

العيـن ودمـاء الكبـد، لأن هـذا الوضـع يحكـم وينطـق بـأن تأخيـر دقيقـة واحـدة سـوف يلحـق الضـرر بالقـرون والأجيـال. هـذه فكـرة بـدأت تدريجـا تدغـدغ نفسـي، وأحدثـت اضطرابـا في تفكيـري وعقليتـي، ثـم عصـرت ذاكرتـي لأسـتخرج مـن ذهنـي الكليـل حلـولا جذريـة مفيـدة للقـراء الكـرام، فأقـدم بعـض الحلـول الناجعـة ليكـون نقطـة عطـف في حيـاة القارئيـن.

تربية النشئ الجديد:

طـرق شـتى سُـلكت، وآراء قيمـة قُدمـت وطرحـت، وأطـراف الأحاديـث تبودلـت، وأعمـال إيجابيـة جربّـت، فهيهـات لمـا طَلعـت، طلـع فجـر ولا فجـر والميـاه تسـير في مسـارها ولا سـير، والريـاح تجـري بمـا تشـتهيه سـفن أهدافنـا ومراميـنا ولا جريـان، طيـور الآمـال تتحلـق في سـماءنا وتطيـر ولا تحلـق ولا طيـران، والأمـل لـم ينقطـع كليـا، فبصيـص منـه يـرى، تـرى انعكاسـاته في أسـارير وجـوه أطفالنـا وشـبابنا.

الاختيـار المثالـي والسـبيل القويـم الـذي أقترحـه، تربيـة النشـئ الجديـد تربيـة إسـلامية، والقيـام بتخطيـط تناسـب تفكيرهـم وعقليتهـم، وتنميـة مهاراتهـم وكفاءاتهـم، وصنعهـم رجـالا مفيديـن ذوي المؤهـلات، وذا يتطلـب أمـورا، ويتطلـب برنامـج مرنـة، يتطلـب معلّميـن، مشـفقين ليجعلـوا التلميـذ ضيعتهـم، ومشـروع عمرهـم، يبـذرون في تربتهـم الجـد والحميـة الدينيـة، ويسـقونهم مـاء الاهتمـام، ويتطلـب أسـاتذة مهـرة ليصهروهـم في بوتقـة دينيـة ويصوغوهـم في قالـب الطموحـات، ويلبسـوهم الأهـداف كشـعار ودثـار.

تحديد الأهداف:

إن للبيئـة تأثيـرا لاينكـر، لـو كانـت البيئـة بيئـة ملائمـة تسـاير أهدافـا وتعايـش طموحـات فينبغـي عقـد الآمـال بنواصيهـا، ولـو خلـت عـن تحديـد أهـداف سـامية فحـري أن يكبَّـر عليهـا أربـع.

فعلـى الآبـاء أن يحـددوا لأبنائهـم أهدافـا قبـل أن يفكـروا في مأكلهـم ومشـربهم وملبسـهم، وعلـى الأسـاتذة والمعلميـن أن يعيّنـوا لتلامذتهـم طموحـات قبـل أن يهمهـم شـيء آخـر، فحيـاة الطـلاب أو النشـئ الجديـد -في إطـار أوسـع- تـدور حـول هـذا القطـب، فالحيـاة بـلا هـدف حيـاة بـاردة، مصطنعـة غيـر حقيقيـة.

هـذه مأسـاة علميـة وحضاريـة نـرى حبـل الشـباب المتعلميـن وغيرهـم على غاربهـم، فخطواتهـم لا تتجـاوز العشـوائية، ولا تتعداهـا قيـد شـبر، نـرى تلبيتهـم لـكل نعـرة وهتـاف واندفاعهـم وراء كل حركـة ودعـوة، فقلـت آنفـا لـو لـم نـدرك الأوان وتأخرنـا دقيقـة واحـدة سـيلحق الضـرر بالجميـع، وتأخـر لحظـة تسـاوى تأخـر عقـود وأزمـان...

صنع الرجال:

أوجـه خطابـي إلـى أصحـاب المعالـي والهمـم.. إلـى أصحـاب المـدارس.. إلـى العلمـاء.. إلـى كل مـن يـرأس مجموعـة ويديـر فئـة.. العالـم ليـس عـن الناصحيـن والعلمـاء الربانييـن، الخريتيـن الحاذقيـن بغنـي ولـو سـاعة، يتألـم العالـم بمـا يجـري فيـه ولا أبابكـر لـه، ولا أحـد لـه يواسـيه، وأن الأمـة تمـر بهـا مـن محـن وإحـن وتحديـات وصعـاب وأخطـار، ولا رجـال لهـا.

العالـم اليـوم يحمـل مـن الـذل والشـقاء مـا لا يقيـد، ووسـم بوصمـة عـار تنكـس الـرؤوس خجـلا وحيـاء.

يـا أسـاتذتي لا تذرونـا نتجـول كيـف نشـاء وحيـث نشـاء، نكـون شـباب اليـوم فحولونـا رجـال الغـد، لا تدعونـا نجـرب مـا جـرب الخاسـرون، ونحـن أمامكـم ولا نرفـع أمـرا ولا نعمـل عمـلا دونكـم! رأينـا كل شـيء فأصبحنـا اليـوم الميـت في يـد الغسـال، فانظـروا مـاذا تأمـرون.

أخيـرا أطلـق عنـان قلمـي إلـى الطـلاب وأفـلاذ كبـد الأسـاتذة، أخاطبكـم زملائـي: الفكـر اليهـودي والقـوة المسـيحية تريـد غـزو العالـم، وتتقـرب إلـى هدفهـا المذمـوم يومـا فيومـا، أحدثـت تيـارا لا يمسـكه إلا تيـار مثلـه، فننتبـه ونفكـر، العصـر الحاضـر عصـر سـيطرة الأفـكار، فسـيل الأفـكار الغربيـة لا يدفـع إلا بسـيل أشـد وأقـوى، أصارحكـم : لنقـم مـن جديـد ونصنـع مسـتقبلنا -إن شـاء الله-!

فاعلمـوا أن عيـش لحظـة واحـدة كالأسـد، أكـرم وأعـز مـن مـن عيـش قـرن كامـل كابـن آوى، والأمـر إليكـم.

لينوا بأيدي إخوانكم

عبد المجيد خدادادیان

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «خِيَارُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مَنَاكِبَ فِي الصَّلَاةِ». (1) وفي رواية أخرى: «وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ».(2)

ذكر صاحب بذل المجهود في شرح الحديث الأول: قيل معناه: إنه إذا كان في الصف وأمره أحد بالاستواء ويضع يده على منكبه ينقاد ولا يتكبر، فالمعنى أسرعكم انقيادًا. قال الخطابي معناه لزوم السكينة والطمأنينة، بحيث لا يلتفت ولا يجاوز منكبه منكب من بجنبه، ولا يمنع من أراد دخولًا في صف لسد فرجة أو لضيق مكان، بل يمكّنه من ذلك ولا يدفعه بمنكبه، وقال في المجمع: هو بمعنى السكون والوقار والخشوع.(3)

هكذا ذكر الشيخ خليل أحمد السهارنفوري في شرح هذا الحديث، ولكن صاحب السنن ذكر الحديث في باب تسوية الصفوف، فالذي يظهر أن الحديث عنده يتعلق بقضية تسوية الصفوف والتعاون عليها، فيكون مراد الحديث: خياركم من هو لين منقاد، ويتعاون في تسوية الصفوف، فإذا قدمه أخوه أو أخره ليستوي الصف فلا يستكبر ولا يستنكف، وإذا أراد أحد أن يدخل الصف لسد الفرجة فيلين له ويفسح ولا يقف جامدًا لا يتزحزح متسمّرًا في مكانه راسيًا كعمود كهرباء، ويؤيد هذا الشرحَ الحديثُ الثاني: «وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ»، فإن سياق الحديث كله حول تسوية الصف، والحديث كاملا: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ»(4)

وقال أبو داود -رحمه الله-: ومعنى «ولينوا بأيدي إخوانكم»: إذا جاء رجل إلى الصف فذهب يدخل فيه، فينبغي أن يلين له كل رجل منكبيه حتى يدخل في الصف.(5) وذكر صاحب بذل المجهود في شرح هذا الحديث: «أي إذا وضع اليد عليكم للتقدم والتأخر فلينوا له وانقادوا ولا تستنكفوا منه»(6) ويؤيد ما قلت لكم في ترجيح معنى الحديث ما ذُكر في الحاشية: «وهذا أولى وأليق مما قاله الخطابي أن معنى لين المنكب السكون والخشوع.(7) وكذلك ما ذكره الملا علي القاري صاحب

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (لِينُوا) أي: كونوا لينين هينين منقادين (بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ) أي: إذا أخذوا بها ليقدّموكم أو يؤخّروكم حتى يستوي الصف؛ لتنالوا فضل المعاونة على البر والتقوى.

فكون المسلم يتعاون حين إقامة الصلاة في المسجد مع إخوانه على تسوية الصفوف علامة على صلاحه وفضله وأنه من خيار المسلمين، وكثيرًا ما نشاهد في المساجد بعض الصغار والكبار إذا طلب منهم أحد أن يسدوا الخلل إنكمشت وجوههم وأنِفوا، وإن تجاسر أحد على أن يشير عليهم بيده ليملأوا الفراغ أو يتقدّموا أو يتأخروا غضبوا وإن ساقهم أحد إلى الأمام بيده أو أمالهم يمينا أو شمالا ليستقيم الصف نخروا وشخروا وظلوا يسبونه في أنفسهم وهم في الصلاة.

إن هذه الفظاظة والغلظة تخالف ما ورد في الحديث من وصف المؤمنين الأخيار بالليين.

أنا أحب أن أنظر إلى الحديث بنظرة واسعة، وأعتقد أن لين المنكب ليس يخص الصلاة، بل هي شيمة وسجية طيبة ورحمة من الله تتجلى في عباده المؤمنين، كما يقول تبارك وتعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ».

فالمؤمن لين منقاد ولا يشمخ بأنفه أمام الحق، بل يكون معه كريشة في الهواء، أو كخشبة على ظهر الماء، يسير أينما سار ويميل أنى مال، المؤمن لا يهمه إلا الحق، فإن الحكمة ضالته، وأينما وجدها فهو أحرى بها، والمؤمن لا يهتم بأن الذي دلّه على الحق صغير أو كبير، وضيع أو رفيع، هكذا شأن المؤمن، إن ما يشغل باله أن يكون صالحا ويمشي على الدرب الصحيح ويتعاون في إصلاح المجتمع، لا سيما ما يتعلق بأمورهم الدينية.

ولست أنا وحدي من يلقي على الحديث هذه النظرة المتميزة، ويوسّع عنده المراد من الحديث، ويجعله أكثر شمولا بحيث ينطبق على جميع تفاعلات الانسان واستجاباته لكل كلام أو إشارة يدعوه إلى إصلاح خطأ أو سد فراغ أو التعاون في رفع مستوى أمر جامع، لا أن ينحصر الحديث في شأن الصلاة، بل أخص من ذلك في تسوية الصفوف فقط.

فإليكم ما يراه «عبد الرحيم السلمي» وذكره في كتابه: «شرح القواعد المثلى»:

«إنه يجب على المسلمين وخاصة الذين يهتمون بهذه الأمور -أمور الخلافات- أن يمتثلوا الوصية العامة في الائتلاف وعدم الاختلاف، وألّا يجعلوا للشيطان عليهم مدخلًا، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أمرهم في الصلاة بتسوية الصفوف وقال: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُم»(8) وقال أيضًا: «لينوا بأيدي إخوانكم». وهذا هو الواجب أن يتعاون المسلم مع إخوانه على البر والتقوى، وألا يتعاون معهم على الإثم والعدوان، وأن لا يعتقد أنه هو المفضل على غيره، بل يحاسب نفسه ويتمنى أن يكون غيره مهتديًا كما أن الله -جل وعلا- هداه، ويحب لأخيه ما يحب لنفسه، والواجب على الناس الائتلاف وعدم الاختلاف، فالله -جل وعلا- منّ علينا بالائتلاف والمحبة، ومنّ علينا بأنه لا مشاحنة ولا تحزبات ولا فئات فيما بيننا وهذه نعمة عظيمة، وتحصل النزاعات ويحصل الافتراق إذا فرّط العباد في أمر الله -جل جلاله- كما قال الله -جل وعلا-: «وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» (المائدة:14).

ترون أن المؤلف يذكر حديثين يختصان بأمر الصلاة وتسوية الصفوف ويؤيد ذلك أن الأمام البخاري ذكر الحديث الأول في كتاب الأذان، باب تسوية الصفوف مما يشير إلى أن الحديث عنده يختص بشأن صفوف الصلاة، والإمام البخاري معروف بين العلماء بعبقريته في التبويب والعنونة، كذلك الحديث الآخر ذكر الإمام أبو داود في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، وقد ذكرت سابقًا أن سياق الحديث كله يتعلق بأمر تسوية الصفوف عند إقامة الصلاة، ثم بعد العلم بذلك كله يذكرهما المؤلف محرّضا على ائتلاف وعدم التفرق والتعاون على كل بر لا تسوية الصفوف فقط.

فالليين في أيدي الإخوان عند إقامة الصلاة له معنى أشمل وأوسع، وهو رمز للتواضع أمام الحق والتعاون في كل خير، والمسايرة مع المصلحين، بل الانقياد لهم، ومطاوعتهم، والتفاعل الايجابي مع عمل ما يدعو وينتهي إلى الإصلاح، والتجاوب مع كل نداء يدعو إليه. فهو بذلك سمة للمخلصين تجذّرت وتأصّلت فيهم، وتظهر في مواقف كثيرة يتخذونها ومنها عند الصلاة لما يشير إليه أحد أو يدعوه ويأخذه بيده ليسوّي الصف، فيلين وينقاد كورقة تتراقص مع النسيم ما أجملها!! أو كوردة تتمايل في مهبّ الريح ما أطيبها!! لا كجلمود صخر لا يطمع فيها النسيم العليل ولا الريح الطيبة، فإنها لا يزحزحها عن مكانها إلا سيل عرمرم أو زلزال عنيف.

هـذا وقـد مـدح الله نبيـه باللين، ومـنّ عليـه بالإنعـام عليـه بهـذه النعمـة الجليلـة، واعتبـره رحمـة عليـه، وبـرّأه مـن الفظاظـة والغلظـة: «فَبِمَـا رَحْمَـةٍ مِّـنَ اللهِ لِنـتَ لَهُـمْ وَلَـوْ كُنـتَ فَظًّـا غَلِيـظَ الْقَلْـبِ لَانفَضُّـوا مِـنْ حَوْلِـكَ»(آل عمـران:152) هـذا وقـد كان مـن منهـج الأنبيـاء -عليهـم السـلام- وشـعارًا لهـم: «وَمَـا أُرِيـدُ أَنْ أُخَالِفَكُـمْ إِلَـى مَـا أَنْهَاكُـمْ عَنْـهُ إِنْ أُرِيـدُ إِلَّا الإِصْـلَاحَ مَـا اسْـتَطَعْتُ وَمَـا تَوْفِيقِـي إِلَّا بِـاللهِ عَلَيْـهِ تَوَكَّلْـتُ وَإِلَيْـهِ أُنِيبُ»(هـود:88)

فقـد كانـوا أحـرص شـيء على تطبيـق الإصـلاح على نفوسـهم أولًا ونشـره وتنفيـذه في البشـرية ثانيـا حسـب اسـتطاعتهم ومـا توفـر لديهـم، وهـذا هـو ميـراث الأنبيـاء للمؤمنيـن الصادقيـن: الحـرص على الحـق والترحيـب بـه والفـرح بقدومـه والهـشّ والبـشّ بحضـوره والدماثـة معـه، بـل التحمـس في مظاهرتـه وتأييـده.

فجملـة «وَلِينُـوا بِأَيْـدِي إِخْوَانِكُـمْ» ليسـت بهـذا التأويـل محـض الأمـر بحكـم شـرعي لا تتعـدى صفـوف الصـلاة، بـل هـي رمـز وشـعار لمسـايرة كل دعـوة إلـى الإصـلاح فكريًـا ودعمهـا سـاعة سـماعها عمليًـا، ثـم المسـاهمة في نشـرها، ولا أرى داعيًـا إلـى شـرح هـذه المسـألة أكثـر؛ فمـن الواضـح جـدا أن الأسـتاذ الـذي يأمـر الطـلاب في الصـف بالاسـتواء جلوسًـا ولـزوم السـكينة والوقـار وحسـن الاسـتماع لا يعنـي بذلـك أن هـذه التعاليـم تخـص الصـف ولا يلـزم التحلـي بهـا في غيـر الصـف، بـل الصحيـح أن مراعـاة النظـم وضبـط الحـركات وحسـن الاسـتماع إلـى المتكلـم هـو أدب مـن الآداب لا سـيما مـع الكبيـر والمعلـم، وهـذه صفـة ينبغـي أن يتحلـى بهـا المؤمـن والصـف مـن مظانهـا، كمـا أن رسـول الله - صلـى الله عليـه وسـلم- كان قـد بلـغ في حسـن الاسـتماع مبلغًـا قـال البعـض في وصفـه: «هُـوَ أُذُنٌ»، فكمـا أن حسـن الاسـتماع ليـس يخـص الصـف وليـس صفـة خاصـة يمتـاز بهـا الطـلاب ويلتزمونهـا أمـام الأسـتاذ، بـل هـي صفـة محمـودة اتصـف بها الرسـول -صلـى الله عليـه وسـلم- وظهـرت شـيمته الطيبـة هـذه مـع المؤمـن والمنافـق والكافـر، فلين المنكـب كذلـك سـجية نبيلـة تظهـر في عبـاده المؤمنيـن المتواضعيـن لـه تقـر بهـا عيـون المتوسـمين فيهـم.

فلينـوا يـا إخـوان مناكـبَ ولينـوا يـا إخـوان في أيـدي إخوانكـم، فـإن الأخ لا يريـد لأخيـه إلا صلاحًـا وسـدادًا ورشـادًا، فـإذا عثرتـم على أحدهـم فـلا تتصلبـوا ولينـوا في أيديهـم كمـا لان الحديـد لـداود عليـه السـلام، وأنصفـوا معهـم؛ فـإن المنصـف مـن يجعـل كل شـيء في مكانـه. وظالـم مـن تصلـب مـع إخوانـه الناصحيـن المخلصيـن ولان لأعـداءه وأعداءهـم الحاقديـن الماكريـن لـه ولإخوانـه، أو لان مـع الفريقيـن أو تصلّـب، فـإن محمـدًا رسـول الله والذيـن معـه كانـوا أشـداء على الكفـار رحمـاء بينهـم.

وأنهـي كلامـي بـأن الناصـح لـو لـم ينجـح فهـو معـذور وفقـا لقولـه تعالـى: «وَإِذَ قَالَـتْ أُمَّـةٌ مِّنْهُـمْ لِـمَ تَعِظُـونَ قَوْمـاً اللهُ مُهْلِكُهُـم أَوْ مُعَذِّبُهُـمْ عَذَابًـا شَـدِيدًا قَالُـواْ مَعْـذِرَةً إِلَـي رَبِّكُـمْ وَلَعَلَّهُـمْ يَتَّقُونَ».(أعـراف164) ولكـن الظالـم الـذي غلـظ مـع إخوانـه ولان مـع أعـداءه ومـن أكبرهـم الشـيطان مآلـه الحسـرة والنـدم والعـض على الأيـدي: «وَيَـوْمَ يَعَـضُّ الظَّالِـمُ عَلَـي يَدَيْـهِ يَقُـولُ يَـا لَيْتَنِـي اتَّخَـذْتُ مَـعَ الرَّسُـولِ سَـبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلًا (28)

المراجع:

1- سـنن أبـي داود، كِتَـابُ الصَّـلَاةِ، أَبْـوَابِ الصُّفُـوفِ، بَـابُ: تَسْـوِيَةُ الصُّفُـوفِ، رقـم الحديـث: 672

2- سـنن أبـي داود، كِتَـابُ الصَّـلَاةِ، أَبْـوَابِ الصُّفُـوفِ، بَـابُ: تَسْـوِيَةُ الصُّفُـوفِ، رقـم حديـث: 666

3- بـذل المجهـود، المجلـد الرابـع، كِتَـابُ الصَّـلَاةِ، أَبْـوَابِ الصُّفُـوفِ، بَـابُ: تَسْـوِيَةُ الصُّفُـوفِ، ص: 338، طبعـة دار الفكـر.

4- راجع المصدر الثاني

5- راجع المصدر الثاني كذلك

6- بـذل المجهـود، المجلـد الرابـع، كِتَـابُ الصَّـلَاةِ، أَبْـوَابِ الصُّفُـوفِ، بَـابُ: تَسْـوِيَةُ الصُّفُـوفِ، ص: 333، طبعـة دار الفكـر.

7- راجع المصدر السابق.

8- صحيـح البخـاري، كتـاب الأذان، بـاب تسـوية الصفـوف عنـدَ الإقامـة وَبعدهـا

9- شـرح القواعـد المثلـى لعبـد الرحيـم السـلمي، موقـع المكتبـة الشـاملة الحديثـة.

الدكتــور يوســف القرضاوي

حبيب الرحمن حاجي حسيني

نشأته ومؤهلاته:

ولـد الدكتـور يوسـف القرضـاوي في إحـدى قـرى جمهوريـة مصـر العربيـة، قريـة صفـت تـراب مركـز المحلـة الكبـرى، محافظـة الغربيـة، وهـي قريـة عريقـة دفـن فيهـا آخـر الصحابـة موتـاً بمصـر، وهـو عبـدالله بـن الحـارث بـن جـزء الزبيـدي، كمـا نـص الحافـظ بـن حجـر وغيـره، وكان مولـد القرضـاوي فيهـا في 1926/9/9م وأتـم حفـظ القـرآن الكريـم، وأتقـن أحـكام تجويـده، وهـو دون العاشـرة مـن عمـره.

التحـق بمعاهـد الأزهـر الشـريف، فأتـم فيهـا دراسـته الإبتدائيـة والثانويـة وكان دائمـا في الطليعـة، وكان ترتيبـه في الشـهادة الثانويـة الثانـي على المملكـة المصريـة، رغـم ظـروف اعتقالـه في تلـك الفتـرة .ثـم التحـق بكليـة أصـول الديـن بجامعـة الأزهـر، ومنهـا حصـل على العالميـة سـنة 1953-52م، وكان ترتيبـه الأول بيـن زملائـه وعددهـم مائـة وثمانـون.

ثـم حصـل على العالميـة مـع إجـازة التدريـس مـن كليـة اللغـة العربيـة سـنة 1954م وكان ترتيبـه الأول بيـن زملائـه مـن خريجـي الكليـات الثـلاث بالأزهـر، وعددهـم خمسـمائة.

وفي سـنة 1958حصـل على دبلـوم معهـد الدراسـات العربيـة العاليـة في اللغـة والأدب.

وفي سـنة 1960 م حصل على الدراسـة التمهيدية العليـا المعادلـة للماجسـتير في شـعبة علـوم القـرآن والسـنة مـن كليـة أصـول الديـن.

وفي سـنة 1973م حصـل على الدكتـوراة بامتيـاز مـع مرتبـة الشـرف الأولـى مـن نفـس الكليـة، عن»الـزكاة وأثرهـا في حـل المشـاكل الجتماعيـة»

أعماله الرسمية:

عمـل الدكتـور القرضـاوي فتـرة بالخطابـة والتدريـس في المسـاجد، ثـم أصبـح مشـرفًا على معهـد الأئمـة التابـع لـوزارة الأوقـاف في مصـر.

ونقـل بعـد ذلـك إلـى الإدارة العامـة للثقافـة السـلمية بالأزهـر الشـريف للإشـراف على مطبوعاتهـا والعمـل بالمكتـب الفنـي لإدارة الدعـوة والإرشـاد.

وفي سـنة 1961 م أعيـر إلـى دولـة قطـر، عميـدا لمعهدهـا الدينـي الثانـوي، فعمـل على تطويـره وإرسـائه على أمتـن القواعـد، التـي جمعـت بيـن القديـم النافـع والحديـث الصالـح.

وفي سـنة 1973 م أنشـئت كليتـا التربيـة للبنيـن والبنـات نـواة لجامعـة قطـر، فنقـل إليهـا ليؤسـس قسـم الدراسـات الإسـلامية ويرأسـه.

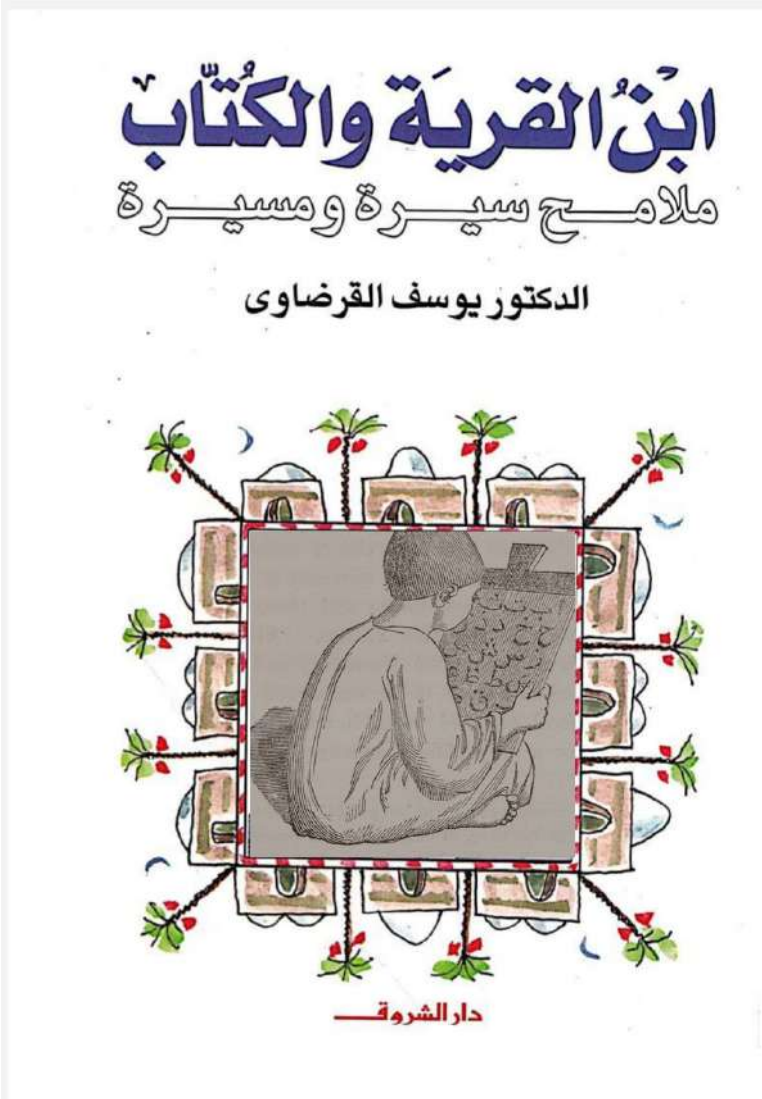

وفي سنة 1977م تولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وظل عميدًا لها إلى نهاية العام الجامعي 1990/1989م، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر.

وقد أعير من دولة قطر إلى جمهورية الجزائر الشقيقة العام الدراسي 1991/1990م ليترأس المجالس العلمية لجامعتها ومعاهدها الإسلامية العليا، ثم عاد إلى عمله في قطر مديرا لمركز بحوث السنة والسيرة.

حصل على جائزة البنك الإسلامي للتنمية في الإقتصاد الإسلامي لعام 1411هـ. كما حصل على جائزة الملك فيصل العالمية بالاشتراك في الدراسات الإسلامية لعام 1413 هـ.

كما حصل على جائزة العطاء العلمي المتميز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا لعام 1996 م.

كما حصل على جائزة السلطان حسن البلقية سلطان بروناي في الفقه الإسلامي لعام 1997م.

جهوده ونشاطاته في خدمة الإسلام:

الأستاذ الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، أحد أعلام الإسلام البارزين في العصر الحاضر في العلم والفكر والدعوة والجهاد، في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه.

ولا يوجد مسلم معاصر إلا التقى به قارئًا لكتاب، أو رسالة، أو مقالة، أو فتوى، أو مستمعًا إلى محاضرة، أو خطبة أو درس أو حديث أو جواب، في جامع أو جامعة، أو ناد، أو إذاعة، أو تلفاز، أو شريط، أو غير ذلك. ولا يقتصر نشاطه في خدمة الإسلام على جانب واحد، أو مجال معين، أو لون خاص بل اتسع نشاطه، وتنوعت جوانبه، وتعددت مجالته، وترك في كل منها بصمات واضحة تدل عليه، وتشير إليه.

وسنحاول أن ننبه هنا على أهم هذه المجالات وأبرزها، وهي:

مجال التأليف العلمي:

الكتابة والتأليف من أهم ما برز فيه الدكتور القرضاوي، فهو عالم مؤلف محقق كما وصفه العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه «رسائل العلم» وكتبه لها ثقلها وتأثيرها في العالم الإسلامي، كما وصفها بحق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، والناظر في كتبه وبحوثه ومؤلفاته يستيقن من أنه كاتب مفكر أصيل لا يكرر نفسه، ولا يقلد غيره، ولا يطرق من الموضوعات إلا ما يعتقد أنه يضيف فيه جديدًا من تصحيح فهم، أو تأصيل فكر، أو توضيح غامض، أو تفصيل مجمل، أو رد شبهة، أو بيان حكمة أو نحو ذلك.

وقد ألف الشيخ يوسف القرضاوي في مختلف جوانب الثقافة الإسلامية كتبًا نيفت على الخمسين، أصيلة في بابها، تلقاها أهل العلم في العالم الإسلامي بالقبول والتقدير، ولهذا طبعت بالعربية مرات كثيرة، وترجم أكثرها إلى اللغات الإسلامية والعالمية، فلا تكاد تذهب إلى بلد إسلامي إلا وجدت كتب القرضاوي هناك إما بالعربية أو باللغة المحلية.

وقد تميزت هذه الكتب بعدة مزايا:

أولاً: استندت بصفة أساسية إلى أصول تراثنا العلمي الإسلامي المعتمد على الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح، ولكن لم تانس العصر الذي نعيش فيه فجمعت بين الأصالة والمعاصرة بحق.

ثانياً: جمعت بين التمحيص العلمي والتأمل الفكري، والتوجه الإصلاحي.

ثالثاً: تحررت من التقليد والعصبية المذهبية، كما تحررت من التبعية الفكرية للمذاهب المستوردة من الغرب أو الشرق.

رابعاً: اتسمت بالاعتدال بين المتزمتين والمتحللين، وتجلت فيها الوسطية الميسرة بغير تفريط ولا إفراط، وهكذا قال بحق مدير مجلة الأمة في تقديم كتاب «الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف» أنه من المفكرين الإسلاميين القلائل الذين يتميزون بالإعتدال ويجمعون بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر.

خامساً: يمثل أسلوبه في الكتابة ما يعرف بـ «السهل الممتنع» فهو أسلوب عالم أديب متمكن.

سادساً: وقفت بقوة في وجهه دعوات الهدم والغزو من الخارج، ودعوات التحريف والانحراف من الداخل، والتزمت الإسلام الصحيح وحده، تنفي عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

سابعاً: يلتمس قارئ كتبه فيها الحرارة والإخلاص، كما يلمس ذلك مستمع خطبه ومحاضراته ودروسه، وقد أجمع كل من كتبوا عنه: أن مؤلفاته وكتاباته تجمع بين دقة الفقيه، وإشراقة الأديب، وحرارة الداعية، ونظرة المجدد.

كما أن له بجوار كتبه العلمية كتباً ذات طابع أدبي، مثل مسرحية «عالم وطاغية» التي تمثل ثبات سعيد بن جبير في مواجهة طغيان الحجاج. وله ديوان بعنوان «نفحات ولفحات» يضم عدداً مما بقي من قصائده القديمة، بالإضافة إلى بعض القصائد الجديدة والأناشيد الموجهة.

وقد انتشرت أناشيده وقصائده في العالم الإسلامي وتغنى بها الشباب في المناسبات حتى قبل طبع الديوان.

هذا إلى جانب كتب أخرى اشترك في تأليفها لوزارة التربية في قطر، وللمعهد الديني خاصة، وقد زادت على العشرين كتابًا، أقرتها الوزارة في مدارسها، وهي تتناول التفسير والحديث والتوحيد والفقه والمجتمع الإسلامي، والبحوث الإسلامية، وفلسفة الخلق، وغيرها، هذا بخلاف البحوث والدراسات والمقالات التي نشرت في الحوليات والمجلات العلمية؛ الفصلية والشهرية والأسبوعية، وسنشير إلى شيء منها بعد.

من هذه الكتب

1ـ كتاب «الحلال والحرام في الإسلام»:

الذي ألفه بتكليف من مشيخة الأزهر في عهد الإمام الكبير الشيخ محمود شلتوت ـ رحمه الله ـ وتحت إشراف الإدارة العامة للثقافة الإسلامية في عهد الدكتور محمد البهي ـ رحمه الله ـ وقد أقرته اللجنة المختصة وأثنت عليه، وقد انتشر الكتاب انتشارًا منقطع النظير في العالم العربي والإسلامي، ونوه به كثيرون من العلماء المرموقين، حتى قال الأستاذ الكبير مصطفى الزرقاء: إن اقتناء هذا

الكتاب واجب على كل أسرة مسلمة، وقال الأستاذ محمد المبارك ـ رحمه الله ـ هو أفضل كتاب في موضوعه، وكان الأستاذ الكبير علي الطنطاوي يدرسه لطلّابه في كلية التربية بمكة المكرمة، وفي باكستان هي رسالة خاصة إلى مؤلف، كما اهتمت به الأقسام الأكاديمية للدراسات الإسلامية في جامعتي البنجاب وكراتشي.

طبع الكتاب ما لا يقلّ عن أربعين مرة بالعربية، حيث تطبعه أكثر من دار نشر بالقاهرة وبيروت، والكويت، والجزائر، والمغرب، وأمريكا، هذا عدا الطبعات المسروقة التي يصعب تتبعها وحصرها كما ترجم الكتاب إلى النجليزية والألمانية والأوردية والفارسية والتركية والماليزية والأندونيسية والمالبيارية والسواحلية والأسبانية والصينية، وغيرها.

ومنها:

2ـ فقه الزكاة:

وهو في جزءين كبيرين، وهو دراسة موسوعية مقارنة لأحكام الزكاة وأسرارها وآثارها في إصلاح المجتمع، في ضوء القرآن والسنة، ويعد من أبرز الأعمال العلمية في عصرنا.

وقد شهد المتخصصون أنه لم يؤلف مثله في موضوعه في التراث الإسلامي، وقال عنه العلامة أبو العلى المودودي ـ رحمه الله ـ : أنه كتاب هذا القرن أي الرابع عشر الهجري في الفقه الإسلامي، وقال عنه الأستاذ محمد المبارك في مقدمة كتابه عن «الإقتصاد» من سلسلة «نظام الإسلام :»وهو عمل تنوء بمثله المجامع الفقهية، ويعتبر حدثا هاما في التأليف الفقهي، وقد نقل إلى الإنجليزيه والأوردية والتركية والإندونيسية وغيرها، ككثير من كتب الشيخ نفع الله بها المسلمين في أقطار كثيرة. وقد عالجت كتبه الكثير من القضايا والموضوعات التي يحتاج إليها العقل المسلم المعاصر.

مجال الفقه والفتوى:

ومن الجهود البارزة للدكتور القرضاوي جهوده في مجال الفقه والفتوى خاصة، فهو لا يلقي محاضرة، أو يشهد مؤتمرًا أو ندوة إلا جاءه فيض من الأسئلة في شتى الموضوعات الإسلامية ليرد عليه، وردوده وأجوبته تحظى بقبول عام من جماهير المثقفين المسلمين، لما اتسمت به من النظرة العلمية، والنزعة الوسطية، والقدرة القناعية.

وقد أصبح مرجعاً من المراجع المعتمدة لدى الكثيرين من المسلمين في العالم الإسلامي وخارجه، ومن عرف الشيخ عن كثب سمع منه أنه يشكو من كثرة الرسائل والاستفتاءات التي تصل إليه، ويعجز عن الرد عليها، فهي تحتاج إلى جهاز كامل ولا يقدر عليها جهد فرد مهما تكن طاقته ومقدرته.

هذا إلى ما يقوم به من إجابات عن طريق المشافهة واللقاء المباشر، وفي أحيان كثيرة عن طريق الإتصال الهاتفي، الذي سهل للكثيرين أن يسألوه هاتفياً من أقطار بعيدة، بالإضافة إلى برامجه الثابتة في إذاعة قطر وتلفزيونها للرد على أسئلة المستمعين والمشاهدين.

وقد بين منهجه في الفتوى في مقدمة الجزء الأول من كتابه» فتاوى معاصرة» كما وضح ذلك في رسالته «الفتوى بين الانضباط والتسيب» الذي تعرض فيها لمزالق المتصدين للفتوى وجلها مع التدليل والتمثيل.

وخلاصة هذا المنهج أنه يقوم على التيسير لا التعسير، والإعتماد على الحجة والدليل، والتحرر من العصبية والتقليد، مع الإنتفاع بالثروة الفقهية للمذاهب المعتبرة، وعلى مخاطبة الناس بلغة عصرهم، والإهتمام بما يصلح شأنهم والعراض عما لا ينفعهم، والإعتدال بين الغلة والمقصرين، وإعطاء الفتوى حقها من الشرح والإيضاح والتعليل.

مجال الدعوة والتوجيه:

عمل الدكتور القرضاوي في مجالات عدة، ومارس أنشطة كثيرة، بين العمل الأكاديمي والعمل الإداري والثقافي، واشتغل بالفقه والفتوى، والأدب والشعر، وغير ذلك، ولكنه في المقام الأول رجل دعوة، فالدعوة إلى الله لحمته وسداه، وهي شغله الشاغل، وهي محور تفكيره واهتمامه وعلمه وعمله.

وقد بدأ يمارس الدعوة منذ فجر شبابه، منذ كان طالباً في القسم الإبتدائي، من معهد طنطا الثانوي، وعمره حوالي 16سنة، مبتدئاً بقريته، ثم بما حولها، حتى شرق وغرب العالم كله.

وله إلى الدعوة منابر ووسائل شتى:

منها: المنبر الطبيعي التاريخي للدعوة إلى الله، وهو: المسجد، عن طريق الخطبة والدرس.

وقد كان القرضاوي وهو طالب في كلية أصول الدين يخطب في مسجد بمدينة المحلة الكبرى، المدينة العمالية الشهيرة ـ يعرف بمسجد «آله طه» الذي أطلق عليه الناس «مسجد الشيخ يوسف» وقد كان يؤمه الآلاف لصلاة الجمعة، حتى أن منشئ المسجد بنى بجواره ملحقا من عدة طوابق ليتسع للناس.

وحين أعير إلى قطر سنة 1961م اتخذ من المسجد وسيلة لنشر الدعوة فهو يخطب ويدرس، ويعظ ويفتي، وكان يلقي خطبة الجمعة في مسجد عمر بن الخطاب، الذي تذاع منه الخطبة على الهواء مباشرة عن طريق التلفاز القطري، وقد سجلت هذه الخطب وانتشرت في أنحاء العالم الإسلامي، وكذلك خطبه في عيدي الفطر والضحى، وخصوصاً ما كان منها في ميدان»عابدين» بالقاهرة، و»الأستاد» بالسكندرية.

واتخذ من أجهزة العلم منبرًا للدعوة أيضاً، فله دروس وأحاديث في الإذاعة والتلفاز، وبعضها في تفسير القرآن الكريم، وبعضها في تفسير القرآن الكريم، وبعضها في شرح الحديث الشريف مثل برنامج «من مشكاة النبوة» وبعضها دروس توجيهية، وبعضها إجابات عن أسئلة المسلمين والمسلمات عن كل ما يتعلق بالإسلام والحياة. وما من تلفزيون عربي إلا وبث للدكتور القرضاوي دروسا وأحاديث. وإلى جوار ذلك أجهزة العلم المسموعة والمرئية، كان نشاطه في العلم المقروء عن طريق الصحافة.

فقد نشر مقالات وبحوث في مختلف المجلات الإسلامية:

«الأزهر»و«نور الإسلام» و«منبر الإسلام» و«الدعوة» في مصر، و«حضارة الإسلام» بدمشق و«الوعي الإسلامي» و«المجتمع» و«العربي» بالكويت، و«الشهاب» ببيروت، و«البعث الإسلامي» بالهند، و«الدعوة « بالرياض، و«الدوحة» و«الأمة» في قطر، و«منار الإسلام» في أبو ظبي، و«المسلم المعاصر» في لبنان وغيرها. إلى جانب الصحف الأسبوعية واليومية في عدد من الأقطار، التي نشرت له مقالت أو فتاوى، أو لقاءات يجيب فيها مما يوجه إليه من أسئلة حول الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة وأمة. ومما لا خلاف عليه أن الشيخ القرضاوي داعية إسلامي من كبار دعاة الإسلام المعاصرين، له شخصيته المستقلة، وطابعه الأصيل، وتأثيره الخاص بحيث يعد بمجموع خصائصه مدرسة متميزة في الدعوة، فهو يتميز بالقدرة على إفهام العامة، وإقناع الخاصة معاً.

مجال المؤتامرات والندوات العلمية:

لا يكاد يعقد مؤتمر أو ملتقى أو ندوة أو حلقة حول الفكر الإسلامي أو الدعوة الإسلامية إلا يدعى إليها الدكتور القرضاوي، تقديرًا من الجهات الداعية لمكانته بين العلماء والدعاة والمفكرين، وهو يحضر منها ما أسعفه وقته وساعدته ظروف عمله وارتباطاته المتعددة على حضوره، ويشارك فيها بالبحوث المعدة، أو بالمناقشات الإيجابية المخلصة أو بهما معا، والذين يشهدون هذه المجتمعات العلمية والدعوية يؤكدون أن حضور القرضاوي يزيدها فاعلية وإثراء.

ومن هذه المؤتمرات على سبيل المثال لا الحصر: مجال المشاركة في عضوية المجالس والمؤسسات نظرا للثقة التي يتمتع بها الشيخ القرضاوي بين خاصة المسلمين وعامتهم أصبح عضوًا في عدد غير قليل من المجالس والمراكز والمؤسسات العلمية والدعوية والتربوية والإقتصادية والإجتماعية، رغم إعتذاره من عدم قبوله العضوية في أحيان كثيرة لضيق وقته، وكثرة أعبائه.

مجال الإقتصاد الإسلامي:

عنى الدكتور القرضاوي منذ مدة غير قليلة بالجانب الإقتصادي في الإسلام من الناحية النظرية ومن الناحية التطبيقية.

فمن الناحية النظرية ألقى الكثير من المحاضرات والدروس حول الجانب الإقتصادي في الإسلام، وألف مجموعة من الكتب اشتهرت في العالم العربي والإسلامي، يكفي أن نذكر منها: فقه الزكاة، ومشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، كما تجريه المصارف الإسلامية، وأخيرًا: فوائد البنوك هي الربا الحرام.

ومن الناحية التطبيقية ساند قيام البنوك الإسلامية من قبل أن تقوم، وبعد أن قامت، متعاونًا مع الإتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ولا يزال إلى اليوم عضوًا لها، يشد أزرها، ويرشد مسيرتها، ويسدد خطواتها، ويدافع عنها.

وقد أبان عن سر اهتمامه بالإقتصاد الإسلامي في مقدمة كتابه بيع المرابحة فقال: «إن اهتمامي بالإقتصاد الإسلامي جزء من اهتمامي بالشريعة الإسلامية، والدعوة إلى تحكيمها في جميع مجالات الحياة، وإحلال أحكامها محل القوانين الوضعية والنظمة المستوردة، وتقديرا لهذه الجهود، قررت لجنة البنك الإسلامي للتنمية اختيار فضيلته للفوز بجائزة البنك للعام 1411هـ في الإقتصاد الإسلامي، منوهة بمساهمته المتميزة والعميقة في هذا المجال.

مجال العمل الإجتماعي والخيري:

وللدكتور القرضاوي اهتمام خاص بالعمل الإجتماعي والخيري، وهو يعيب على الحركة الإسلامية، وعلى الصحوة الإسلامية استغراقها في العمل السياسي الذي يستهلك جل طاقته، إن لم يكن كلها، وإغفالها للعمل الإجتماعي الذي أتقنه خصوم الدعوة الإسلامية، والذين تسللوا من خلاله لإضلال المسلمين ومحاولة سلخهم عن عقيدتهم وهويتهم، تاحت ستار الخدمات الإجتماعية، والأعمال الخيرية، من إنشاء المدارس والمستشفيات والمؤسسات الإجتماعية المختلفة.

وقد استغل دعاة التنصير هذا المجال أسوأ استغلال، فغزوا كثيرًا من المناطق الإسلامية في إفريقيا وآسيا، التي ينتشر فيها ثالوث الفقر والجهل والمرض، حتى انتهى بهم طموحهم أو غرورهم إلى التخطيط لتنصير المسلمين في العالم، كما قرر ذلك مؤتمر المبشرين الذي انعقد في ولاية كولورادو بأمريكا ورصدوا لذلك ألف مليون دولار، وأنشأوا له معهد «زويمر» لتخريج المتخصصين في تنصير المسلمين حسب بلدانهم ولغاتهم ومذاهبهم واتجاهاتهم.

وقد حرك ذلك همة الشيخ القرضاوي، فطاف بعدد من الأقطار، وألقى عددا من المحاضرات والأحاديث بين فيها خطورة الموقف، ووجوب التصدي لهذه الحملة بعمل مماثل، وهو رصد ألف مليون دولار من المسلمين للحفاظ على عقيدتهم وشخصيتهم، وأن يستثمر هذا المليار إذا جمع، لينفق من عائده على العمل الخيري والدعوي، ويبقى الأصل صدقة جارية لأصحابه، وأوضح أن المسلمين يبلغون في عددهم أكثر من مليار، فلو دفع كل مسلم ـ في المتوسط ـ دولارًا واحدا لجمعوا المبلغ المطلوب. وبهذا رفع شعار: ادفع دولار تنقذ مسلما !وأصدر نداءه للمسلمين الذي أذيع في أكثر من بلد.

مجال ترشيد شباب الصحوة:

ومن أبرز الميادين التي توجهت إليها همة الدكتور القرضاوي ونشاطه، وظهر فيها تأثيره، وجند لها في السنوات الأخيرة لسانه وقلمه وفكره وعلمه وجهده: ميدان شباب الصحوة الإسلامية المعاصرة، فهو يحضر الكثير من المعسكرات والمؤتمرات واللقاءات التي ينظمها شباب الصحوة في داخل البلد الإسلامية وخارجها، وقلما يممت وجهك شطر هذه اللقاءات في أمريكا وكندا وأوروبا، السئلة المثارة والشبهات المثيرة،حول الإسلام وعقيدته وشريعته وتاريخه، وهو موضع الثقة والقبول العام من شباب الصحوة، لما يعتقدونه وما يلمسونه أيضت من تمكنه من العلم، ورحابة أفقه في الفكر، وإخلاصه في الدعوة، وحرصه على البناء لا الهدم، وعلى الجمع لا التفريق، وتحريه دائما الإعتدال والوسطية التي

تتسم بالتيسير لا التعسير، وبالرفق لا العنف، فهم يقبلون منه ما لا يقبلون من غيره ممن قد يتهمونه في علمه أو دينه أو ارتباطه بجهة من الجهات.

أضف إلى ذلك ما نشره من مقالات، وما ألفه من كتب، وما ألقاه من خطب ومحاضرات، سجلت وانتشرت، تدور حول دعم الصحوة وتقويتها من جانب باعتبارها المعبر الحقيقي عن طموح الأمة الإسلامية وتطلعها إلى الحياة الإسلامية الكاملة، وحول ترشيدها وتسديد خطاها ومسيرتها بعيدًا عن الغلو والتطرف والعنف.

مجال العمل الحركي والجاعي:

اشتغل الدكتور القرضاوي منذ فجر شبابه بالدعوة إلى الإسلام، عقيدة ونظام حياة، عن طريق الخطب والمحاضرات والدروس والأحاديث، وساعده على ذلك اتصاله المبكر بحركة الإخوان المسلمين، وتعرفه على الإمام الشهيد حسن البنا، وهيأ له ذلك أن يجوب محافظات القطر المصري من الإسكندرية إلى أسوان، وإلى سيناء وأن يزور بعض الأقطار العربية مثل سورية ولبنان والأردن، بتكليف من الأستاذ حسن الهضيبي ـ المرشد الثاني لإخوان المسلمين ـ لنشر الدعوة.

وقد لقي في سبيل دعوته كثيرًا من الذى والإضطهاد والإعتقال عدة مرات منذ كان طالبا في المرحلة الثانوية في عهد فاروق سنة 1949م، وبعد ذلك في عهد الثورة في يناير سنة 1954م، ثم في نوفمبر من نفس السنة حيث استمر اعتقاله نحو عشرين شهرًا، ثم في سنة 1963م.

ومما يذكر للشيخ القرضاوي أنه برغم ارتباطه بحركة إخوان المسلمين، وانتمائه المبكر إليها، وابتلائه في سبيلها، وجهوده العلمية والدعوية والتربوية فيها، وإجماع أنصارها على عظيم مكانته فيها، نراه لا يألو جهدًا في الدعوة برفق إلى النقد الذاتي لمواقفها، لترشيد مسيرتها وتحسين أدائها، وتطوير مناهجها، كما دعا بإخلص إلى التعاون مع كل الحركات الإسلامية الأخرى، ولم ير بأسا من تعدد الجماعات العاملة للإسلام، إذا كان تعدد تموع وتخصص لا تعدد تعارض وتناقض، على أن تتفاهم وتنسق فيما بينها، وتقف في القضايا الإسلامية الكبرى صفا واحدًا، وتعمق مواضع الإتفاق، وتتسامح في مواضع الخلاف، في دائرة الأصول الإسلامية السياسية القائمة على محكمات الكتاب والسنة.

وقد تجلى هذا الإتجاه النقدي البناء المنصف في عدد من كتبه وبحوثه ومقالاته ومحاضراته، ولقاءاته الصحفية. يرى أنه ليس من العدل تحميل الحركة الإسلامية مسئولية كل ما عليه مسلمو اليوم من ضياع وتمزق وتخلف، بل أن ذلك هو حصيلة عصور الجمود وعهود الإستعمار، وإن كان عليها بلا شك قدر من المسئولية يوازي ما لديها من أسباب وإمكانات مادية ومعنوية هيأها الله لها، استخدمت بعضها، وأهملت بعضا آخر.

ويرى ضرورة أن تقف الحركة الإسلامية مع نفسها للتقويم والمراجعة، وأن تشجع أبناءها على تقديم النصح وإن كان مرًا، والنقد وإن موجعا.

ويقول: أن بعض المخلصين يخافون من فتح باب النقد أن يلجه من يحسنه ولا يحسنه، وهذا هو العذر نفسه الذي جعل بعض العلماء يتواصون بسد باب الإجتهاد، والواجب أن يفتح الباب لأهله، ولا يبقى في النهاية إلا النافع، ولا يصح إلا الصحيح.

ويرى ضرورة التخطيط القائم على الإحصاء ودراسة الواقع، وأن من آفات الحركة الإسلامية المعاصرة غلبة الناحية العاطفية على الإتجاه العقلي والعلمي، كما أن الإستعجال جعل الحركة الإسلمية تخوض معارك قبل أوانها، وأكبر من طاقتها.

ويرى أن الإستبداد السياسي ليس مفسدًا للسياسة فحسب بل هو مفسد للإدارة والإقتصاد والخلق والدين، فهو مفسد للحياة كلها.

ويرى أن الصحوة السلمية تمثل فصائل وتايارات متعددة كلها تتفق في حبها للإسلام، واعتزازها برسالته، وإيمانها بضرورة الرجعة إليه، والدعوة إلى تحكيم شريعته، وتحرير أوطانه، وتوحيد أمته.

وينصح الحركة السلمية أن تعمل على ترشيد الصحوة، ولا تحاول احتواءها أو السيطرة عليها، فمن الخير أن تبقى الصحوة حرة منسوبة إلى جماعة أو هيئة أو حزب.

ويرى أنه ليس من العدل ولا من الأمانة أن نحمل الشباب وحدهم مسئولية ما تورطوا فيه، أو تورط فيه بعضهم من غلو في الفكر أو تطرف في السلوك، والعجب أننا ننكر على الشباب التطرف ولا ننكر على أنفسنا التسّيب، ونطالب الشباب بالإعتدال والحكمة ولا نطالب الشيوخ والكبار أن يطهروا أنفسهم من النفاق.

ولا شك أن الدكتور يوسف القرضاوي يعتبر من أبرز الفقهاء المعاصرين الذين يتمتعون بقدرة متميزة على النظر الدقيق من خلال كسبه المتعمق للعلوم الشرعية، وتجربته الميدانية في مجال العمل الإسلامي، كما يعتبر من المفكرين الذين يمتازون بالإعتدال، ويجمعون بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر، وتجمع مؤلفاته بين دقة العالم، وإشراقة الأديب، وحرارة الداعية.

مؤلفاته و فكره:

جاوزت مؤلفات القرضاوي الثمانين، وقد لقيت قبول عاماً في العالم الإسلامي، وطبع بعضها عشرات المرات، وترجم عدد كبير منها إلى اللغات الإسلامية، واللغات العالمية ، أما مقالاته ومحاضراته وخطبه ودروسه

فيصعب حصرها . وصفه الذين كتبوا عنه بأنه من المفكرين الإسلاميين القلائل، الذين يجمعون بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر، وبأن كتاباته تميزت بما فيها من دقة الفقيه، وإشراقة الأديب، ونظرة المجدد، وحرارة الداعية.

وهذا الرجل العظيم الشريف المبجّل المكرّم بعد جهد وإنجاز وعسر وإتقان وجد وإبداع، بذل حياته فى خدمة الإسلام والمسلمين، فغادر الحياة الدنيا فى الإثنين 29 صفر 1444.

اللهم لا تفتنّا بعده و لا تحرمنا أجره.

من أهم الصفات في الحاج عبد الغفور رجب علي زادة باني جامعة أنوار العلوم بخيرآباد

مجتبى أمتي

كان رحمه الله شخصية فريدة وفلتة من فلتات الدهر، جمع بين جنبيه صفات وهبها الله إياه قلما يجود الزمان بأمثاله، وهو حقا حاتم الطائي المعاصر.

نذكر بعض صفاته في هذه السطور عملًا بالحديث النبوي: «اذكروا محاسن موتاكم»، وترغيبًا للتلبس والتشبث بها.

إيمانه بالله وتوكله عليه:

كان -رحمه الله- مؤمنا بالله وبما يفعل، لا يُقلقه حادث وإن كان وقعه كبير على النفس. قال نجله الشريف الحافظ «عبد المجيد» حاكيا عن والده -رحمه الله-: «لو نزع الله أولادي وممتلكاتي -وكانت كثيرة جدا- لما رأيت داعيا هنالك للقلق؛ لأن جميع الأمور بيد الله، وما شاء الله كان، ولما تركت النوم والراحة...!!»

دعته الأستخبارات إلى مشهد للاستيضاح ومحاكمته للبناء الجديد الذي شرعه للجامعة. يقول مرافقه ولده الحافظ عبد المجيد: «تأخر المفتّش واستبطأ، فغالبه النعاس، فتوسّد عمامته ونام على الكرسي مرتاح البال والفكر دون أي خوف وقلق، إذ جاء المفتش فرأى ما رأى وناداه بأعلى صوته: «يا حاج! أتعلم في أي مكان تكون؟! فتيقظ رحمه الله وبدأ التفتيش»

طموحاته:

طموحات الحاج عبد الغفور -رحمه الله- لا تقف عند حدّ، ولا تعرف الحصر والحد، ولا يزال يطمح أن تتقدم جامعته جامعةَ الأزهر في مصر ويكون لها السبق. يقول ولده الشيخ «مسعود رجب علي زادة» وهو من الأساتذة ناقلًا عن والده: «أرجو أن لا يفاجئني الأجل قبل أن أرى ألفي طالب يدرسون في الجامعة». فلأجل هذا الطموح أنشأ فرع البنات في جامعة أنوار العلوم للطالبات حتى يحدث تغييرا جذريا في حياة المجتمع وكان يقول دائما: «هنّ نصف المجتمع»

حبه للعلم والعلماء:

كان حبه للعلم وتبجيله للعلماء ذائعا في الآفاق لا يوجد له نظير بين نظرائه من أصحاب الأموال فضلًا عن سائر الناس في الأوساط العادية.

حكى أحد الأساتذة الكبار حكاية طريفة من خصومة وقعت بينه وبين الحاج فلتت منه خلالها كلمة عن غضب، فأتى الحاج إلى المدرسة واعتذر إلى الأستاذ، فتركته هذه المعاملة المثالية مشدوهًا أمام هذا التواضع والحب الزائد للعلماء.

قال له بعض الناس وبعض أهل القرية: لم تؤتي مالك لهؤلاء العلماء، أنفق مالك على الفقراء! فأجاب بكلمة مفعمة بفكر الدين والتألم له: «لو أنفقت مالي على الفقراء لعمرت بطون فحسب، ولو أنفقت مالي على العلماء لعمر الدين»

قيل له إذا جاء أجلك فهل ندفنك في ريزة؟! -قرية قريبة من خيرأباد- قال على الفور: كلا! ادفنوني قريبا من المدرسة والطلبة لتغشاني الرحمة.

كان رحمه الله يأمر بشراء الأحذية والمعاطف والأثواب الأنيقة للطلبة في بداية ونهاية كل عام دراسي تعظيمًا وتكريما لهم.

حكي أنه كان يطوف بالكعبة ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم لا تذلّ مدرستي».

ولقي في الحج أمير المدينة «سعيد أحمد خان» وطلب منه الدعاء وهو يدعو والحاج يؤمّن دعاءه.

استقلاله الذاتي:

كان رحمه الله يأبى التطفل والتذيل، فلأجل هذه الميزة أسس مصنعا للطوب ليستقل في بناء العمارات، ولا يكون محتاجًا إلى السائرين في توفير الطوب، واشترى حافلتين للترفيه عن المسافرين في طريق تايباد-مشهد حتى لا يضيع حق الإيرانيين، وكان آنذاك إخواننا الأفاغنة تمتلئ بهم الحافلات -فإنهم كانوا يزيدون في ثمن الكراء لمساس حاجتهم فيرغب السائقون فيهم ولا يسمحون للإيرانيين بالركوب- فيقع الإيرانيون في حرج عظيم، ومن العجب أنه وعد الركاب بأن من أخبره بأن السائق لا يقف للصلاة يعطيه مبلغًا كبيرًا من المال، واشترى لمستشفى في تايباد جهاز الغسيل الكلوي (جهاز تتم به عملية تنقية الدم ويستخدم لمعالجة المريض المصاب بالفشل الكلوي الحادّ أو المزمن) لما عرف أن الناس يتجشمون عناء التنقل إلى تربت جام.

سخاؤه وجوده:

الحكايات والمواقف العجيبة في إنفاقه الأموال لا يكاد يصدقه من لم يصحبه، ولا تحويها هذه السطور، بل تحتاج إلى سِفر ضخم، ولكنا نكتفي بشيء يسير منها.

قال الحافظ عبد المجيد: «ينفق كأنه يدّخر وينمّيه ماله حيث يحيرنا إيمانه بالأجر والثواب».

قال الحاج «عبد الحكيم معظّمي» صاحبه ورفيقه في السفر والحضر: «قال لي يومًا أجر لي معاملة السلم في هذه الحنطات وكانت عدة طنّات -وفي المعاملة المرسومة يتضرر صاحب السلم، والناس لا يجرون هذه المعاملة إلا عند الحاجة الماسة- ففعلت ذلك ظنًا مني أنه واجه مشكلة مالية، وأتيت بالتراولات بدل فكة وأعطيتها له، فقال لي على الفور: ما هذه؟! فقلت هذه نقود بشكل التراولات (صكوك تحتوي مبالغ غالية). فقال: أريد أن أقسمها بين الفقراء والأفضل أن تكون فكة. فتعجبت منه أنه يتضرر لأجل الإنفاق على الفقراء، رأيته ينفقها على الفقراء بعد صلاة الجمعة في ريزة، ويعطي كل فقير مائة تومان -وكان يومئذ مبلغا كبيرًا، فقلت: يا حاج! لم تعطي هذا المبلغ الكبير للفقراء وتعودهم بهذا؟! فقال لي: «النقود متعلقة بالشرايين!! إذا أنفقت انقطعت، وانقطعت بانقطاعها الشرايين».

يريد أن الإنفاق عسير على النفس ولكن لا بد من القيام به تهذيبا وتأديبا لها!

ووقف أراضي كثيرة للمدرسة تتجاوز بضع هكتارات وبئر زراعية مع أراضيها الزراعية مع عائداتها السنوية يجعل كل إنسان أمام هذا السخاء النادر حائرًا مشدوها يعترف بقلبه المؤمن وإيمانه بوعد الله في الآخرة، ولا غرو أن يقال: إنه حاتم الطائي.

كانت مائدته مبسوطة للقاصي والداني كل يوم لا يقلون عن عشرات من الضيوف، ويطعمهم دون أن يسألهم عن مذهبهم وعشيرتهم.

قال الحافظ عبد المجيد: «ذبح في عام واحد قرابة ستمائة شاة لأجل ضيوفه»، وكان يبيع من ممتلكاته وينفق على الضيوف، ولا يطيب له العيش إن أكل وحده وترك القادمين إلى خيرآباد جياعا، وفي خلال هذه اللقاءات والزيارات مع الناس يمتّعهم بنوادر من النصائح ويشير عليهم بما يحل مشكلاتهم المالية، فيصدرون عن مجلسه وهم ممتلئون سرورًا وابتهاجًا.

❁❁❁❁❁❁

❁❁❁

❁

نِعم الرافد إذا حلّ به الوافد

عبد الغفار ميرهادي

نرجع إلى أكثر من قرن، لمّا كان الناس في مدينتي يعيشون حياة بسيطة، بعيدة عن زخارف الدنيا وزينتها، وكانوا يخرجون في الصباح الباكر بعد أداء صلاتهم وتلاوة شيء من القرآن الكريم أو الاستماع إليه إلى أشغالهم، واحد إلى غنمه ليغدو بها خماصا ويروح بطانا، وآخر إلى بستانه وزرعه، وكانت الأسر فيها لا تتجاوز آنذاك عن مائتي أسرة تقريبا، وإن كان لها تاريخ عريق بين إقبال وإدبار، وصعود ونزول، وكثرة وقلّة، وترك لها وعودة إليها، وهجرة منها ومجيء إليها، إنّها «ريزه» هي مشهورة في المنطقة كلّها برجالها وخيراتها، -ولله الحمد- وتضيء كالشمس في رابعة النهار.

ليس حديثي هذا عن عالِم درس العلوم وتخرّج منها، إنّه عن رجل عامي ذي صفات سامية نبيلة مرموقة، وإني أعتقد أنّ التاريخ لا ينحصر في ذكر أصحاب العلم والشهادات، والملوك والأمراء وضبط وقائعهم فحسب، وماذا يُجدي ما يحمله هولاء إذا لم يقدّم أحد منهم نفعا لمجتمعه من أمر بالمعروف، أو نهي عن المنكر، أو سدّ جوع، أو دفع مضرة، وإنه من الحيف أن نهتمّ بإشادتهم ونترك من تكون حياته حافلة بالخير، زاخرة بالنفع، وإن لم يكن صاحب شهادة أو منصب، وهم ليسوا قليلين. وإنّي لأتلذّذ عندما أبحث عنهم أو أجلس معهم وأسمع وقائع حياتهم.

ومن هؤلاء «جدّي لأبي». إن كريم سجاياه، وحسن أخلاقه حملني أن أكتب شيئا عن حياته المليئة بالخير.

ولادته:

وُلد -رحمه الله- سنة 1285هـ.ش في ريزه وسمّاه أبواه ميرمُحتشم وكُل شاه «عبدَ الرحمن» أحبّ اسم يسمّيه والد ولده، وقد ورد في حديث رواه ابن عمر -رضي الله عنهما- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنّ أحبّ أسماءكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن». مسلم، رقم 2133. وهو ولدهما الوحيد.

طفولته، شبابه وتعلّمه:

ليس عندي أخبار عن هذه المرحلة من حياته غير أني سمعت من صهره «أحمد زكريائي» وهو في بضع وثمانين من عمره: أن خال عبد الرحمن «إسماعيل مراد» ذهب به إلى رجل دينيّ أفغاني مسمّى بـ«آخوند غورياني» يسكن ريزه آنذاك، تعلّم القراءة والكتابة لديه.

وله -رحمه الله- صلة قوية بالشيخ محمد صالح

القهستاني القادري ت1346ش إمام مسجد الخلفاء الراشدين بريزه والعالم البارز في المنطقة، واستفاد منه كثيرا، حيث يسأله مسائله، ويستشيره في أموره، سمعته من غير واحد.

قال ولي محمد عزيزي وهو أيضا في بضع وثمانين من عمره: كان -رحمه الله- يعرف قراءة الكتب لا سيما ديوان الحافظ الشيرازي، وخمس رسائل (پنج كتاب) ونصاب الصبيان، و...

ملامح منه:

ذكرتْ البقية الباقية من الذين أدركوه وعاشوا معه: أنه كان طلق الوجه، يصل الرحم، يُحسن الجوار، محترِما، محترَما، ذا وجاهة بين الناس، حليما، متواضعا، رحيما، ناصحا، سخيّا، مِضيافا، يحبّ الفقراء، خدوما، يشارك الناس في منشطهم ومكرههم، يتعهّدهم، ويعاملهم معاملة حسنة.

قال «ميرأحمد سيدمحمدي» وهو ابن عمه وصهره الآخر الذي صحبه ولازمه ملازمة الظل لصاحبه لمدة طويلة منذ نعومة أظفاره: كان -رحمه الله- رجلا صالحا، له محاسن جمّة لا أستطيع أن أصفها، ما رأيت مثله، وقال مرارا أثناء كلامي إياه: عبد الرحمن عبد الرحمن!!

وهناك سمات له بارزة أذكرها فيما يلي قدرا بالتفصيل:

عبادته:

كان -رحمه الله- يهتمّ بالصلوات الخمس، وكان خدينا للمسجد، يحضره مبكرا، قال ميرأحمد: إنه كان مصباحا للمسجد.

وقال «عبد الخالق رحيمدادي»: كان أسطوانة للمسجد. وقد عدّ النبي -صلى الله عليه وسلم- من كان قلبه معلّقا بالمسجد من السبعة الذين يظللهم الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه.

يتلو القرآن الكريم، قاله «ولي محمد عزيزي».

وساقه سائق التوفيق والشوق إلى زيارة الحرمين الشريفين وأداء الحج، وتحمّل مشقة السفر إليه، وأنت تعلم ما يحمله الحاجّ في ذلك الوقت من عناء السفر، حيث الذاهب فيه مفقود والعائد منه مولود، واستغرق ستة أشهر، قاله أحمد زكريائي.

سخاؤه:

كان -رحمه الله- سخيا، سمعت غير واحد من أقربائي أنه نزع ثوبه من بدنه فور طلب محتاج دون مكث، ليعطيه إياه. نقل والدي عن والدته أنه صدر منه هذا العمل مرات. قال ميرأحمد: ما رأيت نظيره في التصدق والخيرات.

كان له قطيع غنم، يذبح عددا منها كلّ سنة ويُطعم الأقرباء والجيران. ويعطيهم من لحمها ولبنها وزيتها.

قال أحمد زكريائي: أطعم كلّ القرية الأرز أربع مرّات، لم يكن الأرز في ذلك الوقت متوفّرا، حتى شاع خبر هذه الضيافات، كما أنه جاء رجل ذات يوم من باخرز ودخل جمعا، وقال متعجبا: سمعت أن أحدا في ريزه أضاف الناس كلهم! أجابوه: نعم، هو «عبد الرحمن ميرهادي»

قال أحمد زكريائي: كنت حاضرا في هذه المحادثة.

قالت بنته وهي عمتي: مرض أحد جيراننا وهو من أقرباءنا، كان أبي يبعث معي صباح كل يوم قدحا من اللبن الدافئ إليه.

قال «نورمحمد عيدي زاده» نقلا عن عمّي عبدالكريم الذي يعمل مع والده في دكانه: كان أبي يفتح كلّ ليلة دفتر الحساب وينظر أسماء المشترين، وجد مرة اسم أحد، قال لابنه: لا تطلب الثمن منه؛ إنه محتاج.

ويتجلّى سخاؤه في كثرة ضيوفه. كان مِضيافا كثير الرماد.

قال ميرأحمد: قلّما يخلو يومه من ضيف؛ لأنه كان صاحب دكان، تاجرا يختلف إليه الناس من داخل ريزه وخارجها من القرى المجاورة كـ«قادرآباد» و«خيابان» و«پساوه» و«چهاربرجى» و«أستاي» و...، وأضاف: إنّه -رحمه الله- كان يرسلني إلى بستانه -الكبير، كثير الأشجار، وارف الظلال، طيّب الثمار-

ويأمرني أن أعطي ضيفه من الفواكه والثمار ليأخذ معه إلى أهله، فكان -رحمه الله- نعم الرافد إذا حلّ به الوافد.

حِلمه:

كان -رحمه الله- رجلا حليما، قال ميرأحمد: لو شتمه أحد ألف مرة لم يردّه، ولا يجزيه مثله، بل كان يصبر، وفي ذلك يقول الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي -رحمه الله-:

صد هزاران كيميا حق آفريد...كيميايى هم و صبر آدم نديد

ويقول السعدي الشيرازي -رحمه الله-:

بدى را بدى سهل باشد جزا

اگر مردى أحسن إلى من أسا

حكى لي ميرأحمد: جحد أحدُ دَينه الذي عليه له، وأغلظ في الكلام، ولكنه صبر ولم يقل له شيئا، ثمّ بعد أشهر جاء المَدين إليه طالبا العفو عنه وقال: هذا دَيني، خذه، لقد ضربني حِلمك. وأضاف: إنّه كان يوصي ابنه «عبدالكريم» على مثل هذه السجيّة.

وقال أيضا: ذات يوم أخبرتُه أن فلانا أخذ وسرق شاة له: فأخذ بيدي وقال: ألا ترى، تلك هي شاتي بين الشياه،

قالـه سـترا على الآخـذ.

خدمته:

كان -رحمـه الله- رجـلا خدومـا، يسـاعد النـاس ويجانبهـم في فرحهـم وحزنهـم، وممّـا كان يفعلـه: طبـخ الطعـام للجيـران والأرحـام، في محافـل عرسـهم وغيرهـا دون أجـر، وكان طباخـا ماهـرا.

يقـول الشـيخ (آخونـد) عبـد الرحمـن شـيخ جامـي: مرضـتُ فسـاعدني فذهـب بـي مـع والـدي إلـى مدينـة مشـهد للمعالجـة عنـد طبيـب روسـي.

وكمـا ذكـرت آنفـا: كان-رحمـه الله- تاجـرا، ولـه دكان يأتـي بحوائـج النـاس وهـم يشـترون منـه ويسـتدينونه، وبحسـن معاملتـه مـع النـاس أصبـح مرجعـا لهـم.

قـال «نورمحمـد عيـدى زاده»: خـدم كثيـرا لأهـل ريـزه، ولـم يدّخـر في ذلـك جهـدا.

تواضعه:

مـن أخلاقـه أنـه كان متواضعـا، يحـبّ التواضـع، بسـيطا سـاذجا في مظهـره، قـال نورمحمـد عيـدي زاده: لـم يكـن يحـبّ الجلـوس في صـدر المجالـس مـع أنـه مـن كبـار النـاس وأغنيـاء وقتـه في ريـزه.

ومن تواضعه أنه كان يخصف حذاءه. قاله عمتي.

حكاية:

حكـى لـي جدّتـي لأمـي، وهـي بنـت عمّـه: مـات والـدي وكنت أنـا وأخ لـي وأخـت في الصِغـر، فقال-رحمـه الله- لأهلـه: لا يغلقـنّ أحـد البـاب عليهـم فليـردوا علينـا متـى شـاءوا. وقالت: أتذكّـر لمّـا قـرب مـن ريـزه في عودتـه مـن الحـج وكان النـاس ينتظـرون الحجّـاج في بدايـة القريـة اسـتقبالا لهـم، فذهبـوا بـي أيضـا وكنـت طفـلًا، فأخذنـي في حِجـره، ولـم يُنزلنـي حتـى دخـل المسـجد وأدى ركعتيـن، ثـم أخذنـي حتـى دخـل البيـت.

مساهمته في تعمير المسجد:

سـمعت مـن غيـر واحـد أنّـه أتـى على مسـجد الخلفـاء الراشـدين بـ«ريـزه» زمانٌ كان سـاقط السـقف، مـدروس الجدران، متـروكا، يقـال لـه مسـجد «شـاه نظـر» لـم أقـف على ترجمتـه مـع جهـدي لذلـك، فقـام جـدّي وبعـض النـاس كالشـيخ «عبـد الباقـي أحمـدي» و«صـوفي مـلّا رحمـت» -وهـو أبـو زوجتـه- و«شُـكرالله رحميـدادي» وآخـرون في تجديـد بنـاءه على قواعـده مـن جديـد بالطيـن، والخشـب، وبسـطوا داخلـه من:«لُـوخ» نـوع مـن القصـب ينبـت في الميـاه، يُصنـع منـه الحصيـر. وبذلـك نـال -إن شـاء الله- أجـر بنـاء المسـجد، كمـا ورد في الحديـث الشـريف: «مـن بنـى مسـجدا بنـى الله لـه مثلـه في الجنـة»رواه البخـاري، رقـم450

أولاده:

تـزوّج امـرأة ورزقـه الله منهـا أولادا، منهـم «عبـد الرحيـم» وآخـر، وبنـت اسـمها « ل شـاه» فمـات كلهـم في حياتـه إلا ابنـه «عبدالكريـم» فيـه ملامـح مـن أبيـه، حـذا حـذوه، ورسـم خطـاه. -إنـه مـات قبـل خمـس وعشـرين سـنة تقريبـا عشـيّة عرفـة-

ثـمّ ماتـت زوجتـه، وتـزوّج أخـرى، وأنجبـت لـه أولادا وابتـلاه الله بمـوت بعضهـم، مـات منهـم: «عبـد العزيـز» في الثالثـة مـن عمـره، وآخـر في العشـرين يومـا مـن حياتـه، وبنتـان: وهمـا «'لـي» و«ريحانـة» ماتتـا في صغرهمـا أيضـا، وآخـر «حـاج بابـا» و هـو آخِـر أولاده كان في بطـن أمـه عنـد مـوت أبيـه، وهـذا أيضـا مـات في الثالثـة مـن عمـره قالتـه عمتـي. وقـد ورد في الحديـث الشـريف: «مـا مـن النـاس مسـلمٌ يمـوت لـه ثلاثـة مـن الولـد لـم يبلغـوا الحنـث إلا أدخلـه الله الجنـة بفضـل رحمتـه إياهـم» رواه البخـاري، رقـم1381.

وبقـي لـه خمسـة كبـروا وعاشـوا، منهـم: عبدالحكيـم. (توفي في 16/12/1398ش)

ومحمـد رحيـم (والـدي)، ومحمـد، وبنتـان وهمـا «'لـى» و«معصومـة» وزاد منهـم ذريتـه وانتشـروا، وأصبحـوا أسـرة كبيـرة، حفظهـم الله عـن كل مكـروه.

وفاته:

عـاش رحمـه الله 61 عامـا، قالـت عمتـي: مـرض -رحمـه الله- فذهـب بـه ابنـه «عبدالكريـم» إلـى مدينـة مشـهد لمعالجتـه، ولكنّـه لـم تقـدّر لـه الحيـاة أكثـر مـن ذلـك، فجـاء أجلـه المحتـوم، فمـات في غربـة عـن موطنـه، بعيـدا عـن سـائر أهلـه بعـد حيـاة مليئـة بالخيـر، وكان ذلـك سـنة 1346 هـ.ش، ودفـن بمقبـرة ريـزه. اللهـم اغفـر لـه، وارحمـه.

كتبه: عبدالغفار ميرهادي، حفيد المترجَم له،
مساء الجمعة 7/1/1444ق 14/5/1401ش.

_____

استفدت في تحقيق المقالة من:

أحمـد زكريائـي، ميرأحمـد سـيدمحمدي، ولـي محمـد عزيـزي، نورمحمـد عيـدي زاده، عبـد العزيـز منصـور زاده، قربـان قربـان زاده، عبـد الخالـق رحيمـدادي، عبـد الغفـور مرادبـور، عزيـز الله جبـاري، عبـد الرشـيد جغتائـي، محمـد أعظـم محمدجانـي، والـدي محمـد رحيـم، جدتـي كشـور، عمتـي لـي، ومعصومـة.

سلسلة تاريخ الأندلس (١)

الطالب: عبد الرحمن ملانيازي

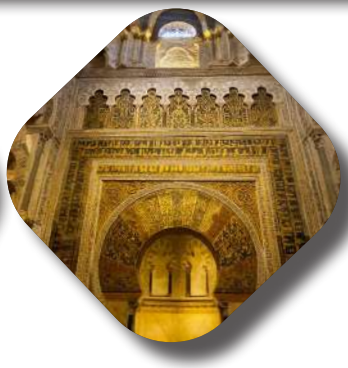

كان الإسلام الذي هو ينبوع الوحيد للخير مقتصرا على شبه الجزيرة العربية في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حتى توفي هو وصاحبه الصدّيق، فإذا أديل الحكم إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- سرى الإسلام في البلاد بأسرع ما يمكن سريان النار في الهشيم. ما من بلد أقبل عليه المسلمون بالبشائر السارّة -التي تؤذن بالأمن و السلام- إلا وانفتح عنوة أو صلحا، إلا القليل من المُدُن ذات الحصار كدمشق، فإنها أبتْ إلا المناجزة، لكن صراع المسلمين الأولين مما لا يسعه سعة أي دولة أو مدينة إلا ما شاء الله.

كان القرن الأول يدنو من نهايته والمسلمون حملوا راية الإسلام إلي أن بلغوا شمالي إفريقيا. كانت البلاد غمرتها ظلمة وعلا فيها حكّامها، فأزاح الإسلامُ بنيان الظلم فيها مهما كانت له من هيبة و كبرياء، و بنى على أنقاضها حكمًا صار محطًّا لِآمال المستضعفين، ومن البلاد المفتوحة في نهاية القرن الأول المُظلِمة أرجائها المظلوم أهلها الأندلس التي كان فتحها سببا لنزوح أروبة عن حُضض الجهالة إلى صُعُد العلم.

كان فتح الأندلس الذي سنتحدث عنه في عهد الدولة الأموية التي قامت على أسس عسكرية متينة لا تتزعزع ولا تضطرب، وكانت جديدة فتيّة لا تزال بعيدةً عن الضعف والهرم، ولم تكن في داخل المملكة وخارجها قوةُ حربية تهزمها في الميدان، لذلك وقعت فتوحات كثيرة في عهد هذه الدولة، وفتحت الأندلس في عهد الوليد بن عبدالملك. فعلى الباحثين والمستقصين عن تاريخ الأندلس أن يتبينوا أولًا الدولة التي كانت مسيطرة على العالم الإسلامي آنذاك وصار سببا لفتح الأندلس وتغلغل الإسلام في قارة أروبا؛ لذلك شرعتُ في توضيح هذه الدولة القوية المتينة وأوضاعها قبل الشروع في تاريخ الأندلس.

لبست الخلافة في عهد الدولة الأموية مظهر المُلك وأبهته، واستشعرت سطوة الحكم وعظمته، فبعد أن كان الخلفاء الراشدون للناس كافة لا يمنعهم دون الخليفة حجاب ولا يصدهم عنه باب وجد في العهد الأموي الحجاب والمقاصير في المساجد الجامعة، وبعد أن كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول على منبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من رأى منكم فيّ اعوجاجا فليقوّمه» قال عبد الملك بن مروان في خطبته بعد قتل ابن الزبير: «ولا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه»، وبعد أن كانت الأمة تُساس بوازع الدين وأثره في النفس في عهد الخلفاء الراشدين رأيناها تُساس بقوة البطش وحد السيف، حتى كان عبد الملك

يقول للناس: «تطلبون منا أن نسير فيكم بسيرة الشيخين أبي بكر وعمر؟! أوتسيرون أنتم بسيرة الناس في عهدأبي بكروعمر؟! فكأنه يعتذرلهم عن قسوته في معاملتهم بأنهم هم الذين حملوه على ذلك بما ظهر فيهم من بدع الأخلاق، وكما تمثل يزيد بن معاوية حينما جاءه الخبر بخلع أهل المدينة له:

هم بدلوا الحكم الذي في سجيتي...فبدلت قومي غلظة بليان

وبعد أن كانت الخلفاء تختارمن بيوت متعددة رأينا الخلافة في هذه الدولة قد انحصرت في بيت واحد يختار كل خليفة منهم ولي عهده من أهل بيته، إما ابنه أوأخاه أو ابن عمه شأن الملك العقيم، وعلى الجملة فإن مظاهرالملك قد ظهرت على هذه الدولة من أول وجودها كما أن الترف قد لحقها في آخرأمرها، وهو نتيجة طبيعية لانحصارالخلافة في بيت واحد.

الانتخاب والبيعة:

جرى خلفاء بني أمية على اختيارأولياء العهد في حياتهم، فكلهم كان مختارا من سلفه ما عدا رأس هذه الدولة معاوية بن أبي سفيان، ومروان بن حكم، ويزيد بن الوليد بن عبدالملك، ومروان بن محمد؛ فإن أربعتهم قد أخذوها بالقوة، فمعاوية اختاره أهل الشام فغالب بهم حتى استقر له الأمر، واجتمعت عليه الكلمة، ومروان اختاره بعض أهل الشام عقب موت معاوية الثاني فغالب بهم حتى فازبعض الفوز وتم الأمر لبني أمية على يد ابنه عبدالملك، ويزيد الثالث خرج على ابن عمه الوليد بن يزيد الثاني حتى قتله وحل محله، ومروان بن محمد دعا إلى نفسه عقب موت يزيد الثالث فبايعه قوم وكرهه آخرون ولم يزل في أخذٍ و ردٍّ حتى دالت دولتهم على يده، أما من عدا هؤلاء الأربعة وهم تسعة الخلفاء فقد كانوا مختارين من قبل أسلافهم.

وكانوا يأخذون البيعة في حياتهم لولاة عهودهم، فإذا مات الخليفة جددت البيعة مرة ثانية تأكيدا للعهد والميثاق، وأول من يبايع أمراء البيت الأموي، ثم يليهم القواد، ثم أمراء الأمصار، وهؤلاء يأخذون البيعة على من تحت إمرتهم. وكانت البيعة على السمع والطاعة والعمل بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

إدارة البلاد:

كانت البلاد الإسلامية تدار بمعرفة أمراء يختارهم الخلفاء وهم نواب عنهم، وكانت مقسمة إلى أمارات كبرى، وهي:

1- الحجاز: وينتظم المدينة ومكة والطائف، ويقيم الأمير بالمدينة، وكان يضاف إلى ذلك أحيانا بلاد اليمن، وأحيانا تكون مستقلة بالأمير.

2- العراق: وينتظم الكوفة والبصرة وخراسان، والأمير في كوفة بعض السنة، وفي البصرة بعضها، وكانت خراسان تستقل أحيانا بأمير يخاطب الخليفة رأسا، وقد يضاف أحيانا إلى عمارة العراق بلاد اليمامة.

3- الجزيرة وأرمينية: وتنتظم بلاد الموصل وأذربايجان وولايات أرمينية.

4- أجناد الشام: كانت خمسة وهي:

فلسطين والأردن ودمشق وحمص وقنسرين، وكانت قنسرين وكُوَرها مضمومة إلى حمص حتى كان يزيد بن معاوية، فجعل قنسرين وأنطاكية ومنبج جندا برأسه، وإنما سمّي كل منها جندا لأنه يجمع كورا، والتجند: التجمع، وقيل سميت كل ناحية بجند لأنهم كانوا يقبضون أعطياتهم فيه، والأقرب أن هذا هوالتسمية.

5- مصروإفريقية: وتنتظم بلاد مصر وشمال إفريقية، وكانت إفريقية في بعض الأحيان تستقل بوال عن مصر.

6- بلاد الأندلس بعد فتحها تارة كانت تُضم إلى إفريقية.

وكل أميركان يختار من رجاله أمراء على الكورالتي هي في حدود إمارته، وكانت الأعمال التي ترجع إلى الخلفاء هي:

1- إقامة الصلاة 2- قيادة الجيش 3- جباية الخراج والصدقات ووضع ذلك مواضعه 4- القضاء بين الناس في منازعاتهم.

قيادة الجنود:

تمتاز هذه الدولة بأن عصرها كله كان زمن الفتح، ففيه اتسعت حدود المملكة الإسلامية من الجهة الشرقية في السند والصغد وبلاد الترك، ومن الجهة الشمالية في أذربايجان وأرمنية وبلادالروم، ومن الجهة الغربية في إفريقية والأندلس، وكان عصرها مع هذا زمن حروب داخلية عظام، حينا مع الخوارج، وحينا مع طلاب الخلافة، ولم

يخلُ عصرخليفة أموي من حروب داخلية إلا عصرالوليد بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز، فهي اذًا دولةُ حربية ولا جرم أن امتاز فيها أفراد كثيرون بقيادة الجنود إلى حومة الوغى، واشتهروا بالثبات ومضاء العزيمة وحسن التدبير في الحروب، وها أنا أورد على أسماعكم جملة من أولئك الأفراد العظام:

1- قتيبة بن مسلم:

1- قتيبة بن مسلم: هو أميرخراسان زمن عبد الملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي؛ لأنه كان أميرالعراقين وكان من كان يليهما كانت خراسان مضافة إليه، وأقام بها ثلاث عشرة سنة وكان من قبلها على الريّ، وهوالذي افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى، وقد كانوا كفروا، وكان شهما مقداما نجيبا، ثم فتح قتيبة فرغانة في سنة خمس وتسعين في أواخر أيام الوليد بن عبدالملك، وقال أهل التاريخ: بلغ قتيبة بن مسلم في غزو الترك والتوغل في بلاد «ما وراء النهر» وافتتاح القلاع واستباحة البلاد وأخذ الأموال وقتل الفُتّاك ما لم يبلغه المهلب بن أبي صفرة ولا غيره، حتى إنه فتح بلاد خوارزم وسمرقند في عام واحد.

2- موسى بن نصير:

أبوعبد الرحمان موسى بن نصير اللخمي بالولاء، صاحب فتح الأندلس، كان من التابعين، وكان عاقلا كريما شجاعا ورعا تقيا لله تعالى، لم يهزم له جيش قط، قال الحافظ أبوعبد الله الحميدي في كتاب «جذوة المقتبس»: «إن موسى بن نصير تولى إفريقية والمغرب سنة سبع وسبعين، فلما قدمها ومعه جماعة من الجند، بلغه أن بأطراف البلاد جماعة خارجين عن الطاعة، فوجه ولده عبد الله فأتاه بمائة ألف رأس فارس من السبايا، ثم وجه ولده مروان إلى جهة أخرى فأتاه بمائة ألف فارس، قال الليث بن سعد: فبلغ الخمس ستين ألف رأس، وقال أبو شعيب الصدفي: لم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير.

3- المهلب بن أبي صفرة:

أبو سعيد المهلَّب بن أبي صفرة، كانت له بنت اسمها صفرة وبها كان يكنى، واسمه ظالم بن سراق، وكان من أشجع الناس وحمى البصرة من الخوارج، وله معهم وقائع مشهورة بالأهواز استقصى أبوالعباس المبرد في كتابه «الكامل» أكثرها، فهي تسمى بصرة المهلب لذلك، ولما حضرته الوفاة جمع من حضره من بنيه ودعا بسهام فحزمت ثم قال: أترونكم كاسريها مجمَّعة؟ قالوا:لا، قال:أفترونكم كاسريها مفرقة؟ قالوا:نعم، قال: هكذا الجماعة ثم مات، وكان علمه تاما بمكيدة الحرب والاحتراس من غوائلها، واشتهر في حروبه مع الخوارج ببلاد فارس وله حروب قليلة بما وراء النهر، وامتازالمهلب بمحبته للجماعة وبغضه للفتن والثورات.

4- محمد بن قاسم بن محمد الثقفي: اشتهر بحروبه في بلاد السند على عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، وافتتح من السند أعظم بلدانهم، وأحكم الأمر بها حتى دانت له، وقد قتل في أول خلافة سليمان بن عبدالملك، واشتهر في أرمينية وأذربايجان.

5- طارق بن زياد: فاتح مسلم، يُعدّ أحد أبرزالقادة العسكريين في تاريخ العرب،كان مولى لموسى بن نصير أميرإفريقيا في عهد الأمويين، وقد أسلم على يديه، أرسله موسى لفتح الأندلس عام711م فاجتازالمضيق الذي عرف بعدُ باسمه «مضيق جبل طارق» واحتلّ قرطبة وطُليطلة وأجزاء أخرى من شبه جزيرة إيبيريا، ويبدو أن موسى لم يرتَح لإيغال طارق في الفتح إلى أبعد مما أذن له بعد فعاقبه بالعزل من القيادة.

وهناك غيرهم من القواد في رفعة القدر وهمة الدولة الإسلامية، ولكني أكتفي بهذا القدر؛ لأن التطرق إلى ذكرالكل يشغل صفحات كثيرة...

هكذا كانت هذه الدولة التاريخية التي اشتهرت بقوتها وفتوحاتها وغيرذلك مما مرّ ذكرها...

مراجع:

1- الدولة الأموية: لمحمد الخضري .

2- وفيات الأعيان بأنباء أبناء الزمان: لابن خلكان.

3- معجم أعلام المورِد: لمنيرالبعلبكي.

أختي

الطالب: خالد رسولي

كانت في الدور الأخير من أدوار حياتها. أتتنا لتودعنا لأنها كانت على وشك القيام برحلة ترويحية مع زوجها وابنتها وزوجين آخرين هما من أقرباء زوجها ومعارفه.

طرقت باب كل بيت لها بأهله معرفة لتطلب منهم أن يجعلوه في حل ويعفوا عنها ويصفحوا.

لم يكن ذاك لها بخلق؛ لأن هذه الرحلة لم تكن بأول رحلة من رحلاتها. فتعجبنا وعرفنا أنه سيحدث ما لا تتصوره الأذهان ولا تتوقعه الأنظار وهو مما لا يخطر على بال.

ألمت فحيت ثم قامت فودعت...فلما تولت كادت النفس تزهق

نعم!

إنها تولت وتولت معها ابنتها الصغيرة ولم ترجعا، فزهقت النفوس، وذرفت العيون، وانحدرت الدموع على الخدود، وسُمُجت من بعدهما صفحات وجه الوجود.

لقد ذهبت أختي إلى رحمة الله والتحقت بالرفيق الأعلى لكنه لم يذهب معها ما خلفته من الذكريات، وما عقبته من الآثار. فقد كانت رضية الخلق تعامل الآخرين برفق ولطف، وتُوْليهم من حبها وحنانها وكرمها، فتزيد بذلك منزلتها عندهم، وتتخذ لها بيوتا في قلوبهم.

وكانت سخية لا تجد قلبا متكسرا إلا جبرته بمالها، ولا كبدا جائعا إلا أشبعته بطعامها، ولا عينا باكية إلا مسحت دموعها وسرت صاحبها أيما سرور.

اتخذت زي الصالحات منذ أن تزوج بها فتى صالح من أسرة دينية تهتم بشؤون الدين اهتماما بالغا. فتأثرت بهذه الأسرة، وبادرت القيام بالأعمال الصالحة، وبدأت تدعو الآخرين إلى مثل ما اتصفت به من الصفات وتخلقت به من الأخلاق، حتى حُبّب إليها تحصيل العلوم النبوية فانخرطت في سلك التعلم.

كانت طالبة مثالية تحرص على العلم كل الحرص، وكانت اتصالاتها بي -هاتفية كانت أو شفاهية- لا تكاد تخلو من الأسئلة العلمية.

كانت لها صديقات قبل أن تهتدي وتخرج من المدرسة الحكومية، فما نسيتهن ولا فارقتهن ولم تسلك معهن مسلك من ينسى أصدقاءه الأقدمين إذا تغير مذهبه ومشربه، بل كانت تلازم مجالسهن، تستجيب دعواتهن، وتسعى أن تقمع البدع والمنكرات التي ظهرت من جانبهن، أو تحوّلها إلى الحسنات إن استطاعت إلى ذلك سبيلا.

لا أطيل الكلام بذكر ميزاتها وخيراتها فإنها كثيرة، بل أقول إنها كانت في طريق الرجوع من رحلتها عند الظهيرة فقالت لصديقتها: «ناوليني قلامة الأظفار» فقلمت أظافرها ثم دخلت في صمت رهيب يشعر بشيء، ثم نامت ولم تستيقظ.

نعم! إنها لم تستيقظ لأن الحاضرون في السيارة ناموا فحادت السيارة عن الطريق فانقلبت.

بتنا الليلة في بيت عمي؛ لأن نساء أقرباءنا كن في بيتنا، فكنت أذهب في غفوة ثم أصحو منها فأرى أبي مضطجعا على الفراش يمسح دموعه وهي تهطل على خديه هطول الأمطار على الأرض؛ ذلك لأنه كان على فراشه الناعم وفلذتا كبده نائمتان في خزانة التبريد، فلم يغمَض له جفن حتى الصباح.

لقد شهدتْ جنازتها وجنازة بنتها عدد كثير يستعصي على الحصر، وهم معترفون بإيمانها وشرفها وديانتها. سمعت من بعض النسوة أنهن رأينها في المنام وهي على أحسن حال -والحمد لله -، ورأتها أيضا زميلاتها في المنام فقلن لها :»ما لك لا تحضرين الصف»؟ فقالت: «إنني حاضرة أراكم من حيث لا ترينني. فكن يشعرن بعد ذلك بحضورها في الصف.

ومن أجمل الأحلام وأشدها قوة للقلب أن امرأة رأت أمها العجوز في المنام بعد أن أتاها اليقين. رأتها وهي تمشي في باحة المسجد النبوي وحيدة فسألتها: «ما شأنك؟» فأجابت: «إن الحكومة عطلت الصلاة، وأغلقت باب المسجد من أجل كرونا وسمحت لي ولصاحبتيّ [فاطمة وهيفا] بالبقاء عند روضة النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت لها: «أين صاحبتاك؟» فأشارت بيدها فإذا بهما تجريان في تلك الباحة العطرة بثياب بيض وقد ملأ السرور جوانبهما. ما كانت المرأة تعرف أختي ولا أسرتي، لكنها أخبرت الآخرين برؤياها فتناقلتها الألسن حتى وصلت إلينا. فلما سمعتها أمي لم تمتلك نفسها فبكت فرحة بما عوملت به بنتها بعد موتها؛ فإن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن».

بين العقل والغريزة

الطالب: محمد ماري

الحمد لله على ما من به على خلقه وأعطى، وأصلي وأسلم على النبي وآله وأصحابه مصابيح الدجى.

إن الإنسان يعيش في الكرة الأرضية ويواجه في يومه وليلته ما يعده من أعجب العجائب، ولكنه يجهل مدى عظمة خلقته، وأنه من أعجب صنع الله، فإن الله شرفه وكرمه من بين الورى وجعله متمايزا عن الخلائق أجمعين بالخلافة والرسالة والإدراك الواسع والعقل الفائق والقدرات المختصة والإختيار في المكاسب، وقدر له الإرادة على المساوي والمحاسن، فإنه متمايز عن الملائكة بالغريزة وعن الحيوانات بالعقل والمعاني السامية المطهرة، فلا يليق به الرهبانية المحضة ولا الحيوانية البحتة.

وبهذه المنحة الفريده دخل الإنسان مدار التكليف، وأصبحت حياته ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، صحه وسقما، سرا وعلانية، ضعفا وقوة، فرحا وحزنا، فقرا وغنى، ميدان الاختيار والاستبصار.

لو أردنا أن نتحدث عن الإنسان وما يجري في قرارة نفسه فوالله إنه لصادق أن يقال فيه: إنه لبحر مواج لا يقف عن التلاطم، وفيه مشاعر لا يسكن عن التراوح، كأن باطنه ساحة حرب يسعى المتحاربون من العقل والغريزة، والخير والشر، واليقظة والغفلة إلى الفوز والانتصار على عدوه.

وبما سبق آنفا اتفقت العقلاء وعلماء النفس أنه لو أشاح الإنسان وجهه عن التعقل وترتيب المقدمات للاستنتاج وإلا لتصدى بالعواقب للاهتداء إلى أحسن الأفعال لارتكب ما يرتكبه من حرم عن التعقل وأسوأ، لأنه بعقله وقدراته يتمكن من الإسراف في المعاصي والتفنن فيها، ما لا يستطيع غير ذوي العقول، ولتنزل منزلة البهائم المعجمة، ولتولى مدبرا عما يليق به.

يقول الله عز وجل: «أفلا يسيرون في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»

من الواجب تقدير نعمة العقل واستخدامه في المصالح والوصول إلى الحقيقة، ضربًا للمثل: إذا وجدت بقرة وحملتها على الخوض في الماء لأبت وامتنعت، ولعل الخوض للطهارة والصحة ودفع القمل والجراثيم عنها، ومن جانب آخر لو أرغمتها على الخوض في البقل والحديقة لاستقبلت بحفاوة وامتثلت المأمور، وربما النزول في البقل يجرها إلى المهالك، ولعلها حبالة مزيفة خادعة.

فيا أخي القارئ! هل تحملت البقرة المشاق في سبيل أخذ القرار؟ وهل اتخذت القرار الصحيح؟ ثم هل استعانت في استقصاء الأمر واستقراء المحتملات إلا من المشاهدة؟ وهل للبقر سوى المشاهدة مبين؟

أيها القارئ ماذا تقول بعد هذا عن الذي قد منح عقلا مميزا وموهبات باهرة ثم يهتف بأننا لا يمكننا القبول إلا بما شاهدنا، ولا يتأتي منا الخضوع إلا للظواهر! وينادي بنداء غير ذوي العقول! هل يمكن تصديقه فيما يدعي؟ وهل يعامل كما يقول؟ ثم ماذا تقول لو افتخر بهذا، واعتقده حرية الفكر ونضج العقل، ونسي أن الأنعام والبهائم العارية عن العقل لأعلنوا بذا قبله؟! فلاحاجة إلى ادعائه هذا. قال الله تبارك وتعالى: «ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمهون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون».

من صرخ بمثل صراخ هولاء لحرم نفسه عن العيش تحت حكمة الله البالغة، ولضرب عليه التية والهوان، ولوُكل إلى ضلالته العمياء.

إليك مثالا آخر كي تتعرف إلى المسألة وتحيط بها من شتى الجهات، إنك إذا قلت إن ابن آدم على عقله المستفسر ومواهبه التي حيرت النهى، وسيطرته على كثير من الخلق، وكون السماوت والأرض وما فيها مسخرة له ما خلق إلا لغاية كانت منشودة من خلقة غيره لقد سوّيت بين البشر وغيره، وضيّعت العقل ومآربه! فإن قوله يشابه تامة ما أحكي لك: تصور ان أبا بعث ابنه إلى الحانوت كي يبتاع حلوية واحدة، وسلمه ملايين دولار لشراء حلوية واحدة! هل تصدق ما سمعت؟ وهل يحتاج شراء حلوية واحدة إلى هذا الثمن؟ فكيف تقول للإنسان الذي أكرم بالمكارم وقوة الاستدلال هل أرسله الله إلى هذا الدنيا حتى يعيش عِيشة البهائم؟ وهل في التشبه بالحيوانات ما يدعو إلى هذه المدركات؟

أخيرا يجب أن نكثر من الشكر وتقدير آلاء الله واستعمالها في مرضاته وأن نتمسك بالخيرات وندعو إليها، ونجتنب عن السيئات، ونحذر منها، ونكون داعين إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

آمين ومن الله التوفيق.

أفغانستان عن قريب

«حوار مع الشيخ غلام نبي نعمتي حول سفره إلى أفغانستان»

الطالبان: دانيال درويشي ومرصاد جباري

أحمد الله على فضله وإحسانه وأشكره على توفيقه وامتنانه. أما بعد: فقد مهّد الله لي الطريق ويسّر لي الأسباب لكتابة هذه المقالة الموجزة. كما شاهدنا وسمعنا طورا بعد طور من القنوات الخبرية أن حركة طالبان قد أثارت ضجّة في الشرق الأوسط واسترعت الانتباهات ولفتت الأنظار نحوها حتى دارت على الأفواه وأسَلات الأقلام، وكم من المواقع الإلحاديّة واللادينية قد تحيّنوا الفرص واتّهموا بتهم شنيعة، وأوهموا إيهامات فضيحة بعيدة عن الواقع بكثير.

إن طالبان كانت تصول صولة من لا يهاب الرّدى وتجول جولة من لا يحذر الموت، وهم أيتموا أحبابهم وأبنائهم، وأرملوا نساءهم وفدَوا بأنفسهم بإيمان راسخ ويقين صادق وعزم ثاقب، ونشّفوا أرياقهم، ولم يألوا جهدا لتكون كلمة الله هي العليا، حتى حظُوا بظفر على الإمبراطوريات العملاقة التي يروع منها كثير من البلدان وتتحرّف عن طريقها وتتحاشى من لقياها. وإني منّيت نفسي بالمسافرة إلى أفغانستان لأرى بأم عيني ما تهافت من الأحداث ووقع من الواقعات منذ كان من تحكم طالبان في أفغانستان ما كان إلى يومنا هذا. فأينما كنت تشوّش ذهني هذه المسألة وتدور في نفسي حتى قابلت أستاذي الوجيه فأرشدني إلى الشيخ «الأستاذ نعمتي» -حفظه الله- للمقابلة. فما إن اقترح لي حتى قدمت إليه مع زميلي مرصاد، فقابلَنا على الرّحب والسعة. فلا نزيد في الكلام على هذا المبلغ وندع المجال للأستاذ ليتحدث عما جرى له في رحلته.

السلام عليكم ورحمة الله! بعدما تغلغلت طالبان في

أفغانستان وهيمنت عليها كنا متلهّفين لرؤيتها، وكانت هذه الرغبة تموج دوما في قلوبنا ولم يمض غيرُ قليل حتى أقبل علينا الدهر ووافقتنا الظروف لنسير مع عميد الجامعة الشيخ الحافظ «عبد المجيد رجبعلي زادة» -حفظه الله- إلى أفغانستان في 1401/5/21هـ.ش.

فانطلقنا الساعة العاشرة صباحًا إلى جمرك دوغارون ثم خرجنا من إيران بوفاق بعض الإخوة، فدخلنا أفغانستان، فما إن وقع بصر الشرطة الأفغانية على هيئتنا وزيّنا حتى ابتهجوا بنا ونظروا إلى تذكرة المرور بكرامة ورزانة، فأذنوا لنا في الدخول. ولما اطلع بعض أصدقاءنا على حضورنا هيّأوا سيارة وأصحبونا إلى مدينة هرات، إلّا أننا توقّفنا في قرية شكيبان التي كانت قريبة من هرات لنجيب إلى طلب الشيخ العالم «السيد ضياء الدين الحسيني» الذي كان بيننا وبينه سبق معرفة من قبل. فلقينا هناك جمّا من العلماء وبعد أن طعمنا الغداء ارتحلنا إلى «زندة جان» لزيارة الأصدقاء منهم: «الشيخ عبدالقيوم» الذي كان قبل سنوات مدرّسا بجامعة خيرآباد وبعض إخواننا الذين كانوا سكنوا خيرآباد قبل أعوام. وزرنا الجامعات الدينية النشيطة ثم بتنا في زندة جان، فغدونا على المناظر المليحة والمرائي الجميلة في اليوم التالي، فتجوّلنا فيها وشاهدنا الأراضي الزراعية والبساتين المدهامّة المكثفة بالأشجار والأزهار، وقد أسعدنا أن الفلاحة في أفغانستان على وشك الترقية والتطوير. ما ضنّ الناس بمشقة ليعثروا على الدخل بالزراعة، لأن معظم الأراضي كانت خصيبة.

صباح الغد أجمعنا أمرنا لنرجع إلى مدينة هرات. فذهبنا مع الإخوة إلى الجامعة الدينية التي كان عميدها المفتي «محمد سرور» وهو من المتخرّجين بدارالعلوم مكي في زاهدان. استرعت انتباهنا واحتراسنا برامجها المتنوعة المختلفة ونشاطاتها الدينية. ثم ألقينا نظرة إلى أماكنها المرموقة، منها: مرقد «خواجه عبدالله الأنصاري»، ومسجدها الجامع الكبير، وقلعة هرات، وحديقة «ملت» وبعضا من الجامعات الإسلامية منها: جامعة «غياثية» وجامعة «إحياء العلوم» وغير ذلك.

لم نلبث في هذه المدينة إلا أربعة أيام فهفّت أنفسنا إلى مدينة «كابل» لنراها رأي العين ونشاهدها من قريب، فانتهزنا الفرصة وارتحلنا إليها رحلة جوّية لعدم ملائمة الطريق. فما إن وصلنا غايتنا حتى أكرمنا الإخوة حق الإكرام، وأحسنوا تبجيلنا، وأعزّوا مقامنا، وبعد ما تنعّمنا بزيارة الآثار والمدارس الدينية تيمّمنا الرجوع إلى هرات، ولم تتعدّ إقامتنا في عاصمة أفغانستان أربع ليال. ومن جراء أن افتتاحيّة جامعة أنوارالعلوم كانت على الأبواب لم نطوّل لبثنا أكثر من هذا فأزمعنا على الانتهاء عن سفرنا ثم بعد ما مضى يومان انكفؤنا من أفغانستان فقدمنا على بلدنا إيران.

ذكر بعض الأسئلة عن أفغانستان والإمارة الإسلامية -التي طرحناها على الشيخ في حوارنا معه- وردّه عليها:

...كثيرا ما يطرق أسماعنا في هذه الأيام بأن الصولة والهجمة قد كشفت عن ساقها في أفغانستان، وطفق الناس يشدون رحالهم للاغتراب. هل هذا صواب أم لا؟ إن مسألة الاضطرابات والخوف بسبب الحرب قد عدِمت، ووضعت الحرب أوزارها، ولا يُرى نزاع بين الجماعات والطوائف المتفرقة والحمد لله! قد تحكم في أفغانستان الأمن والقرار، وغمرها الاطمئنان والسلام مئة بالمئة. ولا مساغ للقلق لمن يريد أن يسلك مسافة طويلة صباح مساء. وكان الناس مبتهجين بأنهم في مأمن إسلامي وحصن ديني منذ كان من تولي طالبان الحكم واستئصالهم القتال والاختطاف والانتهاب والاستلاب التي كان للناس في أفغانستان بها فضل معرفة، غير أننا نسمع من وسائل الإعلام أن من الجهلة من يقومون أحيانا بالانتحار وقتل النفس، ولم يكن متعلقا بالإمارة الإسلامية، ومن ثم لا يقدر أحد على أن يتولى الذمة؛ لأن المغترّين متوافرون، الذين أولعوا بالأفكارالملوثة والنظريّات المعكّرة والاعتقادات الباطلة من البلاد الغربية واللادينية التي ترهق نفسها لتصيب الإسلام والمسلمين أقسى المصائب وأشنع المشاكل.

...كم يتمتّع الشعب الأفغاني بحرية المبادئ والآراء؟

لم يمض علينا طويل وقت هنالك لنتأكد بأنهم في حرية من العقائد و الأفكار أم لا! ولكن رأينا بأم أعيننا أن أصحاب الفرق الذين يخالفون طالبان كانوا متجمّعين في الأماكن العامّة من الأسواق والمتاجر والشوارع، ويقومون بإجراء المسيرة على اختلاف مذاهبهم الدينية ونظرياتهم الاعتقادية، فشاهدنا من قريب أن طالبان كانت توفر لهم الأمن والمجال، وليس إلا أن قيدت قيودا لتزيد لهم الاستيمان والسلام.

ورأينا في كل ناحية وقت تحت حكم طالبان أن الأحزاب المتباينة تؤدي مراسمهم المذهبية ومحافلهم العقيدتية منها: الشيعة، ولا يستعرض سبيلهم أحد ولا يعتدي عليهم. فعلم من هذا أن الشعب الأفغاني كانوا أحرارا على مذاهبهم وأفكارهم مع اختلاف أحزابهم ولا يُعايَن أن أحدا يوبَّخ على عقيدته ويعنَّف على فكرته، وقد كانت الإمارة الإسلامية على يقين مؤزّر واعتقاد محصّن بحقوق البشر، وتحتفظ بها وتعرفها حق معرفتها، بخلاف بعض

البلاد الأروبية، لما أنها ينحصر أمرها في شعارات محضة.

...كيف وجدتم التربية والتعليم في أفغانستان وما هو اقتراح الإمارة الإسلامية لتحصيل الشعب النبيل الأفغاني؟

قبل أن ندخل هذا البلد قرع أسماعنا من أقنية التلفاز خبر أن التعليم والتعلم متوقف هنالك، وليست مجالات الدراسة العليا متوفرة للطلاب، ولما أتينا أفغانستان وتحرينا حقيقة الأمر تيقّنا بأن هذا الخبر له من الصحة حظ، وكان الناس يقولون: إن المرحلة الابتدائية منعقدة وتدور صفوفها و برامجها، وبعد ما انتهت السيادة إلى طالبان أقيمت الجامعات الدراسية للأبناء، ولكن تباطأت جامعات البنات؛ لأن الظروف كانت عصيبة، وسمعنا منهم يقولون: لا غرو الان لتحصيل البنات. ثم بعد تنقيبات وافرة علمنا أن المرحلة المتوسطة لم تنعقد، ويرجع السبب إلى الحظور الاقتصادية والموانع التجارية، ولمّا يتجهّز مكان لتعلم الطلاب في هذه المرحلة، وكانوا يقولون نحن في مقاطعة وحظر اقتصادي، ولا نقدر على توفير الإمكانيات بأسرها، وسنقوم بتوفير كل ما تتطلبه هذه المرحلة من الإمكانيات إن شاء الله. سمعت من القنوات الإعلامية أن الفقر والفاقة تبث يوما بعد يوم في كل قطر من أقطار أفغانستان والناس لم يجدوا بدّا إلا الفرار و الاغتراب. هل تصدّق هذا أم لا؟ من حين أن طالبان قد قبضوا على دفّة الحكم والتنفيذ و سلّموا مهامّ الأمور تعطلت الشركات الأجنبية وإني لأصدّق الأقاويل الناشئة بلا دليل ولم تكن الإشاعات المسموعة صحيحة على أن الناس لم يلفوا حلا وعلاجا إلا بيع أبنائهم الأحبة والتغرّب إلى البلاد الغريبة و ما هي إلا الإشاعات الكاذبة والأقوال الباطلة و ترى منهم من يقوم بالزراعة و الفلاحة ومنهم بالتجارة و جمّا وفيرا بمهنهم السابقة وكان معظم الناس في الارتياح والاطمئنان ولكن الشكوى يعود إلى البطّالين الذين كانوا عمّالا في الشركات الأجنبية ولما أغلقت أبواب هذه الشركات بدلائل مختلفة وأسباب متباينة ترجع إليها، شكوا البطالة و العطالة ولم يكن غير ذلك شيئا.

...كيف رأيت معاملة الموظفين ومقابلتهم مع الناس والنساء المتبرّجات؟

طوال أيام قد أقمنا في أفغانستان وجلنا جولات في مدنها المختلفة لم نر إهانة ولا إذلالاً من جانب العساكر والضباط، بل قابلتنا نحن والناس على الرحب والسعة، وقد تفاوضنا كثيرا مع الناس وتساءلنا عن معاملتهم وأخلاقهم فلم نسمع منهم إلا الاحترام والتوقير، وكانوا يقولون بنفس رضيّة أن طالبان تختلف عما كانت عليه قبل عهد بعيد، وقد وصّى قوّاد الإمارة الإسلامية وزعمائها وأكبر موظفيها جنودهم بالملاطفة واللين، وحذّروهم من الظلم والقسوة.

وأما أمر الحجاب الذي أثار الفوضى في وسائل الإعلام قلّما تبدو النساء اللاتي يتجمّلن في الأسواق والشوارع، ولم يكن ذلك بقدر ما طرق مسامعنا في أن طالبان عاملت النساء المتبرّجات والبنات المتجمّلات معاملة قاسية سيئة، واستصغرت شأنهن واستخفّت منزلتهن، بل كانت تستعظم مكانتهن وتعظمها حق التعظيم وترشدهن إلى سبيل الرشاد، وتنصحهن بنصائح لطيفة دينية كما أمرهم القران الكريم: «والتي تخافون نشوزهن فعظوهن».

وفي الأخير إن أردت أن ترسل إلى طالبان خطاب توصية وتستوصي بها خيرا فماذا تكتب؟

إنّ ما أرى من المستحسن وهو وجهة نظري الخدمة لخلق الله تعالى وعياله، كما أشار النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الخلق عيال الله! فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله»، وأن تفسّح لهم مجال العمل، وتريهم طرقا سليمة للعثور على الدخل، وتصالح البلاد المجاورة وتحاورها لتحكيم السلام، وتبرم معها العقود التجارية والمواثيق الاقتصادية، وتفتح بابا جديدا في المناقشات والمفاوضات والحوار السلمي، وأيضا أوصي الإمارة الإسلامية بالعناية بشأن المعادن الغنية التي توجد في أفغانستان واستثمارها باتخاذ قرارات مناسبة في شأنها. والنكتة الأخيرة هي تيسير الأسباب، وتمهيد الطريق لأبناء المسلمين من الشعب الأفغاني، وتوسيع مجال العلم والتحصيل لهم، والعناية بالقراءة والمطالعة أكثر فأكثر؛ لأن فضل الدول المتقدمة على الدول المتأخرة هو القراءة و المطالعة

فيا أيها القارئ والباحث الذي ترهق نفسك لتدرك الحقيقة وتنكشف لك الأسرار انتبه! فإنه ليست الإشاعات التي تسمعها من الشبكة الدولية والقنوات الفضائية والأراجيف التي تجري على ألسنة الناس، وتدور في الأفواه إلا حائلة تحول بينك وبين الحقائق! فكن يقظا حذرا فطنا وافتح عينيك واحترس وتبيَّن الأنباء وتحرَّ صدقها ولا تخُض فيها إلا بعد التثبت، ولا تقفُ ما ليس لك به علم! إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا!!

تقرير موجز من حفلة الآباء على صعيد البلد

الطالب: عبد البصير شهيدي

الحمد لله الذي أكرم العالم برسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فاجتهد في تبليغ رسالته، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وربى رجالا كانوا غرة في جبين البشرية، تطهرت نفوسهم من حب الدنيا وشهواتها، وزكت نفوسهم، ووصلت إلى مرتبة الإحسان، وصار ذلك سجية لهم بلا تكلف في عبادتهم وسلوكهم ومعاملاتهم، وفي قصصهم وآثارهم خيردليل على ذلك.

أمابعد: قال الله سبحانه وتعالى: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا»

من المحقق أن الله سبحانه وتعالى كلف النبي -صلى الله عليه وسلم- بإقامة الدعوة الإسلامية، فكما أنه سبحانه وتعإلى كلف نبيه بإقامة هذه الدعوة كلف أمته بإقامة الدعوة الإسلامية وهذه الدعوة بوسعتها من أهم واجبات العلماء في هذا العصر.

ومن البداهة أن أكثر العلماء كانوا في الجامعات منذ لم يبلغوا أشدهم وكانوا في شرخ شبابهم في الجامعات، فمن يريد أن يقدم خدمة ويخطو خطوة للإسلام والمسلمين يحتاج إلى مساعدات من قبل من يستطيع المساعدة المرموقة، ولا شك أن أول من يساعده و ينصره نصرا مؤزرا في هذا الطريق هو الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى في محكم تنزيله: «إن تنصرالله ينصركم».

هناك جملة جميلة للشيخ رمضان البوطي -رحمه الله- في كتابه النفيس «فقه السيرة» أنه يقول فيه: ما دام هو الآمر هو الناصر!!

فمن كان الله عز وجل في عونه ونصرته لقد فاز في كل عقبة من العقبات التي يلاقيها الداعي.

كثيرا ما قرأنا في القرآن آيتين ولم نتفكر في معانيهما وهما : «هوالذي أيدك بنصره وبالمؤمنين» و«يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين» فلقد كان ذكر لفظ المؤمنين في الآيتين دالة على أنه سبحانه وتعالى أخبر نبيه -صلى الله عليه وسلم- بأنه أعدّ من يلونه من المؤمنين لنشرالدعوة الإسلامية وتبليغه.

ففهمنا بأن الداعي الوحيد المنفرد لا يسهل عليه خدمة الإسلام والمسلمين إلا مع الله سبحانه وتعالى أولا ومع المؤمنين الصادقين ثانيا مع أنه يريد أن يتقبل المسئولية بحذافيرها فأول وفد من الوفود التي لابد أن تكون مستعدة لمساعدة الداعي الذي يريد الخدمة هي الأسرة التي ترعرع في أحضانها وكان الداعي فيها منذ نعومة أظفاره لأجل هذا قد انعقدت حفلة وندوة لتواطئ الأفكار بين الأساتذة المربين والطلبة المجدين والأسر الناصرة. وهذه حفلة من الحفلات المستمرة التي تنعقد سنويا في جامعتنا هذه.

ثمرات هذا الاحتفال:

هذه الحفلة أثار مشاعر الآباء، وأنار قلوب الأبناء وزاد على فتوتهم القلبية، فهذه الحلفة مثَل صغير لحفلة خريجي الجامعة، بل يكون أكثر تأثيرا وأشد حلاوة. اجتمع جماعة من الطلبة لخدمة الآباء الذين تلقوا الصعوبات في الطرق والسيارات والطائرات والذين جاؤوا من المحافظات المختلفة، وقاموا بتجهيز الفطور والشاي والحلويات صباح يوم الحفلة، وحقا نقول: قبل أن تنتشر ريح المسك في

الجامعة انتشرت ريح الإيمان فيها.
هناك نرى من البعيد مناد ينادي: إلى القاعة ..إلى القاعة ..ما شاء الله. ستنعقد الحفلة، فانطلقنا إلى قاعة المؤتمرات. عندما دخلنا القاعة رأينا الجمع كأنهم جند يشد بعضه بعضا وقلما نجد مثل هذه الحفلات طيلة السنة الدراسية بالنسبة إلى كل الجامعات، فهذه الحفلة من الأدوية السريعة المفعول في المخاطبين الحاضرين في الندوة.
خطابة الأستاذ سروري -حفظه الله-:
بعد أن جلس الآباء واطمأنوا قام الأستاذ خطيبا بين يدي الآباء واستهل الحديث باسم الله الرحمن الرحيم: وبعد البسملة والحمدلة والحوقلة خاطب الأولياء وقال:
إن إرسالكم أفذاذ أكبادكم إلى الجامعة علامة الإيمان والاعتقاد فيكم، والله سبحانه وتعالى يتقبل منكم الصعوبات التي واجهتموها في هذا الطريق ويثيبكم عليها ويغفر لكم، وتؤدي إلى رفع درجاتكم؛ لأن الله لا يضيع أجر المحسنين.
اسمعوا وعوا أيها الأولياء الكرام: ألا إن الطلبة ثروة عظيمة في الأسر.
اعلموا أن الله سبحانه وتعالى يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولكن لن يعطي الدين أحدا إلا أحبه واعلموا أنكم موسرون بهم، والله سبحانه وتعالى اصطفاكم واجتباكم لهذا العمل المبارك. هذه الكفاءة ليست ذاتية.
إنه لا ينبغي لكم أن تشعروا بالفقر مع أن الله سبحانه وتعالى منحكم هذه الأولاد الصالحين المصلحين! لا تتفكروا أن الثروة هي الذهب والفضة والدينار والدرهم، لكم ثروة معنوية تفوق كل ثروات العالم.
ألا لا يقاس شيء مع نعمة القرآن وأنتم موسرون بنعمة القرآن، وفي بيوتكم حفاظ يرثون علم الأنبياء وفكرتهم، ونابوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في علمه وعمله وفكرته وهمه وحزنه.
لقد أضاف الشيخ السروري -حفظه الله-: فجدير بالطلبة أن لا يتفكروا بأنهم عاطلون عابثون بل إنهم كأصحاب الصفة، بل إنهم صانعوا الحضارة العالمية طوال التاريخ كما هو يذعن بذلك.
كما نرى في التاريخ أنه ما ظهرت ثورة ولا نهضة في دولة من الدول إلا وكان العلماء والطلبة في مقدمتها، ولقد بددوا المعاييرالعالمية، وفي أفغاننستان الطالبان هم الذين كانوا يأكلون الخبز اليابس وغلبوا على أكبر دول العالم قوة وعتادا ،وقد أنهكوا الدول القوية وزلزلوا بروج السلاطين مع أنهم كانوا يتلقون الدروس على أرض خال من البساط والفرش. [كنا نشعر من طرائف الأستاذ الروح الإيجابية مع أن روحيات الجند منهارة]
وأما من هم الذين أخرجوا الاحتلال الإنجليزي من بلاد الهند؟! ومن هم الذين أسسوا الدولة الباكستانية؟! ومن أخرج محمدرضا الشاه من إيران؟!
ألا إنهم هم الذين بذلوا قصارى جهودهم في هذا المنطلق، وحقا شمروا عن ساعد الجد في هذه المجالات كلها. وهذا أمر لا بدي أن تكون الجامعات مربيات الرجال الصانعين الحضارة العالمية. ما أجمل حديثه وما أعجبه وما أكلمه! وأنا بنفسي لقد شعرت -وهو يتكلم- بمتعة لا تعادلها متعة.

انشعاب الفروع:

بعدما انتهي حديث الأستاذ الحنون وأصابت الصواريخ أهدافها نودي أن يجتمع آباء كل من فروع الجامعة إلى المكان الذي تعين له، فجلسنا في القاعة ليسهل تبادل الآراء، فانطلق كل فريق إلى المكان المعين له.
ملحوظات الأستاذ الأمتي حول المعهد الدراسات الإسلامية:
قام رئيس المعهد خطيبا وأشار إلى نكات وأدلى بتصريحات هامة حول الموقف: من أهم الموضوعات التي أكّد الأستاذ عليها هي موضوع الصلاة، وقال فيها: من لايجد نفسه ممارسا للصلاة ومطاوعا للصلاة ويكسل ويتأخر عن الصلاة فهذا فراق بيننا وبينه، كما أن قوانين الإسلام يصرّح بذلك. ومنها: استخدام الجوال الذكي في ساحة الجامعة ممنوع للطلبة ولقبيح آثاره. فواصل الحديث وقال :ألا إن في بعض الأحيان يجد الطالب الضغط والصعوبة في الدروس، فهذا مما يقتضي أن يجتهد أكثر فأكثر، أكّد رئيس المعهد الدراسات الإسلامية على أن الأساتذة العباقرة يبذلون جهودم في رقي الطلبة! فينبغي أن يكون الطلبة مغتنمين الفرص، ويقدرون قدر الأساتذة حق الغاية، فالطالب الذي لا يلازم الأساتذة يتضرر ضررا لا يجبر بمئات وآلاف من النقود والذهب والفضة، وفي زحمة الأحداث التي تمر بنا يجب أن نكون على يقظة تامة!!

برامج شتي:

هناك أجريت في الحفلة برامج أخري منها: الخطابة بالعربية من جانب أحد من الطلبة، والأنشودة وغيرها من لوازم الندوات والحفلات...
وقد عهدنا شيئا جميلا آخر وهو: ترك المجال والمنصة للمرتجلين من الآباء، وفي هذا المجال قام بعض الآباء خطباء مقترحين آراءهم وبهذا صار الإفادة والاستفادة من الجانبين، وبعد هذا انشعب الجمع إلى اجتماع أخص منه وهو جلوس كل من الأساتذة الكرام مع صف واحد وتبادلوا أراءهم...

اقتباسات من الحفلة:

هناك كثيرمن الأولياء أبرزوا أحاسيسهم حول الحفلة منهم: شيخ ضرير -جاء من جلستان من التراكمة- أبرز أحاسيسه حول الحفلة وقال: أول ما وجدنا بين الأساتذة والطلبة صداقة حميمية بلا تفريط وتقصير في أدب الأستاذة.
والثاني هو: تواضع الأساتذة مع أنهم من الماهرين في فنونهم ولا يشق لهم غبار.
وفي نهاية الأمر نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجلعنا من الداعين في سبيله ومن المنتصرين في هذا السبيل.

القناص لا الجوال

الطالب: عبد الحكيم إبراهيم نجاد

منذ أمد بعيد يحاول الإنسان أن يخترع أشياء جديدة وله أغراض كثيرة في محاولته هذه، منها خدمة البشرية، وتسهيل الحياة عليهم، وإخراجهم من ضيق العيش إلى سعته، ومنها النيل إلى عرض الدنيا ومتاعها، وكل اختراع إن كان من الأول فبها ونعمت؛ لأنه يرأف البشرية ويعاني مما هم فيه من العاديات والمصائب، وهذا الذي حمل صاحبه أن يخترع شيئا ليخلصهم مما هم فيه. وإن كان من الثاني فهو أشد ما روّع الخلائق؛ لأن البشر إذا حشا عينيه متاع الدنيا لم يعد يلتفت إلى غيرها، وما عادت له عين تميز الخير عن الشر، فيصلى الجميع بنيران حرصه وطمعه.

وهناك ما هو أقبح وأشنع منهما، وهو الاختراع الذي أورثه الخلاف بين أتباع الأديان والمذاهب؛ فإنهم لا يبالون باستيصال الفريق الآخر الذي يزعمونه على الباطل، وحدّقوا فيه بالجد والحزم، ومن المعلوم إذا كان الأمر كذلك فالنيل من العدو -كيف ما كان- هو نصب العيون، إذن لا يرجى منهم الترحم والمروة والرأفة والرجولة، مع أن الدين الذي ينتمون إليه بريء منهم، وهذا الذي جعلهم يصنعون كثيرا من الآلات والأسباب التي تضر الإنسانية أكثر مما تنفعهم.

ومن أشهر اختراعات البشر المزخرفة هو الجوال الذكي الذي قلّما ترى أحدًا يعيش دونه، وأنا متردد في إقحامه بين الثلاثة، ولكن يفوح منه نتن الخيانة أكثر من ريّا الصداقة والخدمة.

لقد أُتقنت صنعته كما تُتقَن حياكة الشرَك الذي يستخدم في المصيدة. وكثيرًا ما جرّبنا بأنفسنا أو شاهدنا من الصيادين أنهم يعلّقون في أشراكهم ما يشتهيه الصيد ويتلذذه من لحم أو دودة أو فتاتة خبز و... ليستفزوه ويصطادوه. فلا ينجو من مصايدهم إلا قليل، وهو الذي يخطف الطعمة ويترك الشرك وصاحبه مخيّبا، فإذا قابلنا بينهما نجد ما في الشرك تمامًا في الجوال أيضًا، إلا أنه قد صُنع لصيد الطيور والأسماك وغيرها من الحيوانات، وهذا يستهدف روح الإنسانية لا سيما المسلمين وغيرتهم ومروءتهم، وبالتالي يبيد الشعور الديني، وهذا هو الوتر الحساس عندهم.

يا إلهي!

كيف استطاع -هذا الشيء الصغير حجمه- أن يغزو المسلمين في عقر دارهم؟! كيف بدّد الأسر وشتّت شملها؟! كيف فرّق بين المولود والمولود له، وبين الرضيع والمرضع، وبين الكفيل والمكفول؟! كيف جرّأ الفتيات على الغدرات والختارات، وجعل الرجال ربات الحجال والنساء ناشزات؟!

إذا قارنّا بينه وبين المخدّرات الحديثة رجحت عليه بكثير من الفضل والشرف؛ فإنها لا تصيد إلا شرذمة قليلة من كل شعب وبلد، وهم مقهورون مطرودون لا أحد يعبأ بهم في المجتمع، فغلظة الناس لهم وفظاظتهم معهم جعلتهم نادمين على ما جروه على أنفسهم، فصاروا يفتّشون سبيلًا للتخلص منها ما عاشوا؛ أما الجوال فيصاد به كل من ينطق ويعقل من الحيوانات، صغارًا وكبارا، شبابًا وشيوخا، رجالا ونساء، عالمين كانوا أو جاهلين! رُعاة أو جباة، معطَّلين أو موظفين و...!!

ولا يعيبه أحد على أحد، ولا يُطرد ولا يُنهر من أدمنه، وإن شحب به وجهه، أو توتّرت أعصابه، أو نحر به نفسه.

ما أظن أن ما فيه من الأضرار أقل من المخدرات، بل أكثر منها بمرات لا تعدّ ولا تُحصى، ولا ينكر عاقل ما فيه من نفع وفائدة، ولكن إذا وُزنت بميزان مستقيم لرجحت كفة الأضرار وطاشت الأخرى.

فلا بد للمسلم أن لا ينخدع بما فيه من نفع وتلذذ! فها هي الطعمة التي سبق منا ذكرها، ولو لم تكن لما جنح إليه أحد، كما أن الصيد لا تستلفته مصيدة لا طعمة فيها! فيا سادتي! إن هذا القدر من النفع والتلذذ يوجد في الخمر والميسر! ولكن الله حرمهما وهو فيهما، وذا يشعرنا بأن دفع الضرر العام أولى من جلب نفع خاص.

فرحم الله عز وجل الشيخ الندوي؛ فإني بعد كتابة هذه الجملات طالعت مقالة له وهو يتحدث عن ردة، ونص ما قال: «اكتسحت العالم ردة من أقصاه إلى أقصاه، وغزت الأسرة والبيوتات والجامعات والكليات والثانويات والمؤسسات، فما من أسرة مثقفة -إلا من عصم ربك- إلا وفيها من يدين بها أو يحبها...»

فإني أيقنت أن من أكبر أبواب هذه الردة الجوال، ولقد قالوا قديما: «قضية ولا أبا حسن لها»، وقال الشيخ في مقالته: «ردة ولا أبابكر لها»، وإني أقول: فتنة ولا أبا حفص لها ليدعو من سويداء قلبه ويتمنى أن يفرج الله عنا هذه المصيبة، فهو -رضي الله عنه- كان يدعو في مشكلة الخمر حتى أنزل الله تعالى حكمها موافقا لرأيه رضي الله عنه.

فرحمك الله يا أمير المؤمنين! إن كنت تتمنى تحريم الخمر فماذا تتمنى فيما ابتلينا به؟! فمن أسكرته الخمر فهو يفيق بعد ساعات أو يوم، ويندم على ما فعله من قذف وإيذاء وقتل و...، ولكن السكران الذي أسكره الجوال لا يفيق ما لم يُلق نفسه إلى دُوّامة الكفر والإلحاد.

ولقد سمعت قصة عما قريب -وعندكم الكثير من هذه القصص- بأن امرأة متزوجة اتصلت بأجنبي في تركيا عبر الجوال وتستمر هذه العلاقة حتى غدرت زوجها، وهربت إليه في تركيا، ونشرت الصور، وفعلت ما فعلت.

فيا لله للمسلمين!

لم يكن بحسبان أحد أن يتجرأ السكران من الخمر إلى هذا الحد! فيا عجبًا كل العجب!!

وآخرًا أشكر من أساتذتنا الكرام حيث منعوا ولم يسمحوا لأحد من الطلبة أن يُحضر معه الجوال في الجامعة، وهم يعتقدون بأن الطالب يُحرز بلا جوال مقاما عليا إن استصحب الإخلاص والجهد والتقوى.

وقد أثبتت أوراق التاريخ ما يعتقده الأساتذة؛ فقد نال العلماء من سلفنا بلا جوالات ما لم ينله أحد من علماء عصرنا مع الجوالات.

فالدم في النصل شاهد عجب...!

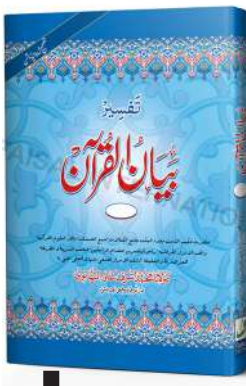

الشيخ أشرفعلي تهانوي، خدماته العلمية والإصلاحية

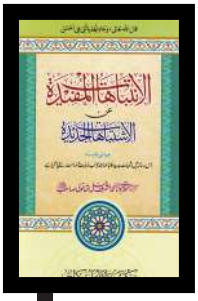

الطالب: عبد المجيد حبيبي

«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا». (الأحزاب/23) وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».(سنن أبي داود/3659)

أما بعد:

نريد أن نذهب أيها القارئ إلى القرن السابق للأمة الإسلامية، ونُقرّ أعيننا بذكر أحد الرجال الذين لم يلههم شيء عن ذكر الله وإقامة الصلوة والحدود الإلهية، الذين لم يخافوا في الله لومة لائم، وقضوا نحبهم في سبيل إعلاء كلمة الله.

ولو تصفّحنا أوراق التاريخ نرى رجالا هم شموس الهداية ونجوم الدراية والرواية، وتلألأوا في سماء البشرية، وأرشدوا الإنسانية إلى السعادة الأبدية، وأتوا بالروائع الإيمانية الخالصة، وجددوا الدين بالصبغة الإلهية في كل عصر ومصر، وتمثّلت فيهم الإنسانية بجميع نواحيها وجوانبها، وتربَّوا تربية خلقية وروحية سامية، ومهّدوا الطريق لمستقبل هذه الأمة ولسير الأمم الإنسانية نحو الكمال الروحية والخلقية وأرقى مراتب الكمال للإنسان، ونفخوا فيهم روحا جديدا، وأنجَوهم من الغرق في الشهوات والميول النفسانية والخوض في زخارف الحيوة الدنيا وبهجتها وزهرتها، وحققوا الإيمان بكل معانيه، وسابقوا إلى الخيرات وسارعوا إلى مغفرة من ربهم، وحرصوا وحرّضوا على كل أنواع البر، وغرسوا الإيمان في قلوب الشعوب والأمم، وأحيوا فيهم جميع جوانب الحياة الإسلامية. وإليك الآن نبذة من حياة أحد هؤلاء الصفوة المختارة.

إن هذه المقالة تشتمل على حياة شخصية شهير لا أعرف له مثيلًا بكل صراحة وبيان، وأول مرة سمعت اسم الشيخ مولانا أشرفعلى التهانوي -رحمه الله- كنت في الصف الإصلاحي؛ ولهذا هِمتُ بكتابة إلمامة يسيرة من حياته الرفيعة الرشيدة منذ باكورة عمره وتحصيله بدارالعلوم ديوبند ومصاحبته مع الشيخ إمداداالله المهاجر المكي -رحمه الله-، وببعض جهوده العلمية والإصلاحية القيمة المؤثرة، وبقراءة هذه المقالة ندرك أن الإنسان مهما اجتهد وسعى في غايته يقترب ونال قمة السعادة والقيادة، ومهما تكاسل وتغافل يبعد عنه ويسقط في المهالك.

هوالإمام العالم الرباني، المتكلم، النظارالأصولي، الفقيه، مجدد الطريق السلوك والإحسان، مربي الأجيال، حكيم الأمة ومصلحها، الداعية إلى الله على بصيرة وإتقان، الشيخ أشرفعلى التهانوي بن سيد عبدالحق بن الحافظ فيض علي بن غلام فريد شهيد بن جلال بن رحمة الله بن أمام الله بن عتيق الله.

ولادته ومسقط رأسه وأسرته:

ولد العلامة التهانوي صباح الخامس من شهر ربيع الثاني سنة ألف ومأتين وثمانين من الهجره النبوية، -على صاحبها الصلوة والسلام- في قرية تهانه بهون العامرة بالعلم والدين، وترعرع في بيعة علمية ودينية وجوّ من الصلاح والتقوى، ويصل نسبه إلى سيدنا عمر الفاروق -رضي الله عنه- الخليفة الراشد الثاني، وإن هذه المنطقة قد أنجبت علماء ورجالا عظماء في الدين مثل: العلامة الشيخ محمد أعلى التهانوي صاحب «كشاف اصطلاحات الفنون» تلك الموسوعة العلمية الهامة الكبيرة التي قد حازت ثناء أهل الفضل والكمال في الشرق والغرب.

كان أبوه السيد عبدالحق من كبار الأثرياء والسادة

المعروفيـن. كان بارعًـا في اللغـة الفارسـية وكاتبـا قديـرا صاحـب أسـلوب رائـع رشـيق ذا سـيادة مسـتقلة لمنطقـة مـن مدينـة «ميـرت».

صباه وبداية تعلمه:

حفـظ العلامـة -رحمـه الله- القـرآن الكريـم في صبـاه لـدى الحافـظ حسـين علـي -رحمـه الله- في «ميرتـه»، وتعلـم مبـادئ الفارسـية والعربيـة على أسـاتذة مهـرة بـررة وجـاز هـذه الفتـرة الابتدائيـة. وكانـت تلـوح على محيّاهـا آثـار النجابـة والسـعادة؛ فقـد كان منـذ نعومـة أظفـاره مكبًّـا على العلـم والعلمـاء، مائـلًا إلـى الطاعـات، بعيـدًا عـن الملاهـي، والملـذات، راغبًـا عـن مخالطـة عامـة الصبيـان ولهوهـم وعبثهـم.

ومـن طرائـف مـا يحكـى عـن رقـة طبعـه منـذ مِيعـة صبـاه أنـه لـم يكـن يتحمـل النظـر إلـى بطـن أحـد مكشـوف عـن الثيـاب.

كان -رحمـه الله- مـن المحبوبيـن لـدى الجميـع منـذ باكـورة عمـره، أينمـا كان وحيثمـا كان، سـواء لـدى الأقـارب والجيـران أو غيرهـم، وقـد ألقـى الله في روعـه حـب الوعـظ والخطابـة منـذ صبـاه، وكان يصعـد على المنبـر ويبـدأ فـى تقليـد الخطبـاء والواعظيـن وهـو طفـل صغيـر لـم يبلـغ ثمانـي سـنوات. ثـم إنـه -رحمـه الله- كان قـد تعـوّد قيـام الليـل والسـهر لأجلـه تعالـى وهـو ابـن اثنتـي عشـرة سـنة.

وهكـذا قضـى -رحمـه الله- صبـاه في تعفـف وعبـادة، وفي رغبـة عـن اللهـو واللعـب والعبـث، حتـى تفـرّس بذلـك كبـار العلمـاء؛ فقـد قـال المحـدث الشـيخ محمـد التهانـوي: -رحمـه الله- «إن هـذا الصبـي هـو الـذي يخلفنـي بعـدي».

التحاقه بدارالعلوم ديوبند:

ولمـا بلـغ الخامـس عشـر مـن عمـره سـافر مـن قريتـه إلـى دارالعلـوم ديوبنـد، وقـد اسـتفاد هنـاك مـن العلمـاء الكبـار اسـتفادة الأرض الطيبـة مـن المطـر في خمـس سـنوات، وأخـذ مـن كل بيـدر العلـم سـنبلة حتـى صـار الشـيخ «أشـرف علـي» حكيمالأمـة، وتلقـى جميـع العلـوم العربيـة والعلـوم النقليـة والعقليـة مفتخـرًا بالتلمـذ على أصحـاب السـعادة والفـلاح أمثـال: «الشـيخ مـلا محمـود» وشـيخ الهنـد «مولانـا محمـود حسـن» ومولانـا الشـيخ «محمـد يعقـوب نانوتـوي» ومولانـا «السـيد أحمـد الدهلـوي» ومولانـا «منفعـت علـي ديوبنـدي» -رحمهـم الله-.

وقـد كان لـه -رحمـه الله- مناسـبة خاصـة زمـن دراسـته بديوبنـد بالمناظـرات والمجادلـة العلميـة؛ وذلـك أن النصـارى كانـوا قـد بثـوا بعثاتهـم التنفيريـة والتكفيريـة إلـى أرجـاء الهنـد، فهـم كانـوا يتفوهـون بضـد الإسـلام، ويتقولـون الأقاويـل، ويهـددون المسـلمين، ويوعدونهـم ويدعونهـم للمناظـرة، فقـد كان الإمـام التهانـوي -رحمـه الله- ينتهـز الفـرص، ويذهـب إليهـم، ويناظـر ويغلـب عليهـم ببالـغ حججـه وناصـع بيانـه.

وكانـت هـذه المناظـرات في زمـن تعلمـه ودراسـته بديوبنـد، وأمـا بعـد مـا تخـرّج وحنكتـه التجـارب فقـد كان -رحمـه الله- مـن أبعـد النـاس مـن المناظـرات والجـدل؛ لمـا كان يـرى أن أمثـال هـذه المناظـرات يعوزهـا الإخـلاص والصـدق، وقلمـا تُجـدي في جلـب النـاس إلـى الهدايـة، بـل كانـوا يتحمسـون ويتعصبـون لمـا ذهبـوا إليـه مـن البـدع والخرافـات والعقائـد الزائقـة المنحرفـة.

بعض ميزات الشيخ -رحمه الله-:

وكان حسـن الثيـاب في غيـر إسـراف وتجمـل، وحلـو المنطـق، لطيـف العشـرة، فيـه دعابـة مـع مهابـة ووقـار وسـكينة ورزانـة، كثيـر المحفـوظ، كثيـر الإنشـاد لأشـعار المثنـوي لمولانـا جـلال الديـن الرومـي في المواعـظ والمجالـس في محالهـا، شـديد العنايـة، كثيـر الحسـبة على أداء الحقـوق إلـى أصحابهـا وإصـلاح المعامـلات بيـن النـاس، لا يتحمـل في ذلـك تسـاهلا وتغافـلا.

سفره إلى الحجاز:

دعـاه الشـيخ «إمـداد الله المهاجـر المكـي»، فسـافر إلـى الحجـاز فحـج وزار، وأخـذ الطريقـة عـن الشـيخ الكبيـر إمـداد الله التهانـوي المهاجـر إلـى المكـة المباركـة، وصحبـه فتـرة ثـم رجـع إلـى الهنـد ودرس مـدة طويلـة في مدرسـة «جامـع العلـوم» بكانبـور مـع اشـتغاله بـالأذكار والأشـغال، فقـد بـدأ -رحمـه الله- حياتـه العلميـة التدريسـية بـكل جـد وإخـلاص، وسـرعان مـا اشـتهر فيمـا بيـن الطـلاب بغزيـر علمـه وحسـن تدريسـه وقـوة خطابـه، على رغـم أنـه تولـى وظيفـة شـيخ محنـك وهـو في مقتبـل شـبابه، كمـا أنـه قـام بالوعـظ والإرشـاد، فكانـت تقـام لـه حفـلات الوعـظ في مجالـس يحضرهـا عامـة المسـلمين، وقـد رزقـه الله القبـول، واسـتفاد منـه خلـق لا يحصيهـم إلا الله، حتـى غلبـت عليـه الحالـة، فتـرك التدريـس وسـافر إلـى أقطـار الهنـد، وراح إلـى الحجـاز مـرة ثانيـة، وصحـب شـيخه مـدة، ثـم عـاد إلـى الهنـد وأقـام بموطنـه في آخـر صفـر سـنة خمـس عشـرة وثـلاث مئـة وألـف، فلـم يغـادره إلا نـادرا للتـداوي أو لاضطـرار وصـار مرجعـا في التربيـة والإرشـاد وإصـلاح النفـوس وتهذيـب الأخـلاق، تشـدّ إليـه الرحـال ويقصـده الراغبـون في ذلـك مـن أقاصـي البـلاد وأدانيهـا، وانتهـت إليـه الرئاسـة في تربيـة المريديـن وإرشـاد الطالبيـن، والاطـلاع على غوائـل النفـوس ومداخـل الشـيطان، ومعالجـة الأدواء الباطنـة والأسـقام النفسـية، وهكـذا قيّضـه الله لهـذا الديـن والتجديـد الإمـام التهانـوي -رحمـه الله- للقـرن القـادم، القـرن الرابـع عشـر، وقـد ورد في

الحديث عن أبيهريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».(سنن أبي داود/4291).

احترامه للشيوخ وتوقيره إياهم:

يقول -رحمه الله-: «إني لم أبذل جهدا ملموسا في الدراسة والتعلم، ولم أصرف كبير جهد واجتهاد في هذا المجال، وإن كل ما رزقني الله وأكرمني به هو من فضله تعالى عليّ، ثم بفضل دعوات هؤلاء الشيوخ الكرام، وحبهم لي، وعنايتهم المباركة بي، وحسن إفضالهم عليّ والحمد لله.

أنا أستطيع أن أقول: إني لم أُغضب أحدا منهم ولو بلحظة واحدة، وإن قلبي ما زال ولا يزال عامرا بحب هؤلاء السادة والكبار والشيوخ العظام، ويحتمل في طياته أسمى معاني التقدير والتوقير لهم دائما وأبدا».

من دعاء شيخه له:

«رجوعك إلى «تهانه بهون» فيه خير إن شاء الله، وأرجو أن يستفيد منك خلق كثير ظاهرا وباطنا، وإنني دائما أدعو الله لك»

جهوده العلمية:

وكانت له اليد الطولى في المعارف الإلهية، ومهارة وأسلوب جديد في التصنيف والتذكير، ورزق من حسن القبول ما لم يرزق غيره من العلماء والمشايخ في العصر الحاضر.

تلاميذه:

وتلمّذ على يديه خلق كثير لا يضبطهم عدد، وتخرّج على يديه، ومن أجلّ تلاميذه الشيخ «محمد إسحاق البردواني» الذي كان يحفظ الصحيح البخاري كله عن ظهر القلب، ومولانا الحكيم النابغة «محمد مصطفي بجنوري» صاحب التآليف النافعة باللغة الأردية، ومولانا الشيخ «ظفر أحمد العثماني» صاحب الموسوعة العلمية العظيمة «إعلاء السنن» الذي يكفي شاهدا على غزارة علمه وواسع خبرته، مولانا «محمد رشيد الكانفوري»، ومولانا «أحمد علي الفتحبوري»، ومولانا «صادق اليقين الكرسوي»، ومولانا «الشاه لطف الرسول باره بنكوي»، ومولانا «فضل الحق باره البنكوي» وغيرهم -رحمهم الله-.

مؤلفاته:

ويقول الشيخ «محمد تقي العثماني» -حفظه الله-: «كان حكيم الأمة الشيخ التهانوي -رحمه الله- أكثر الناس تأليفا في عصره، ولا يوجد في هذا القرن من يجاريه أو يدانيه من كثرة المؤلفات؛ فإنه قد ترك خلفه نحو ألف كتاب ما بين صغير وكبير، ولا يوجد موضوع ديني يحتاج إليه المسلمون إلا وله فيه كتاب أو رسالة أو مقالة مطبوعة.

ولا نبالغ إن قلنا: إن شخصيته -رحمه الله- لتحيي لنا مثالا رائعا ونموذجا حيا وذكرى مباركة لأئمة السلف وكبار المؤمنين أمثال الغزالي والرازي والسيوطي -رحمهم الله- الذين كرّسوا حياتهم على هذا الغرض. وإليكم ذكر بعض أهم مؤلفاته، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب «تأليفات حكيم الأمة» جمعه العارف الكبير الشيخ عبدالحي العارفي -قدس الله سره- ورتبه الأستاذ الفاضل عبدالله الميمن -رحمه الله-.

1- بيان القرآن (تفسير باللغة الأردية) 2- التقصير في التفسير. 3- جامع الآثار (في الحديث) 4- تابع الآثار (في الحديث). 5- إمداد الفتاوى (في الفقه) 6- بهشتي زيور (القضايا الفقهية للنساء) 7- تحذير الإخوان عن الربا في الهندوستان. 8- رافع الضنك عن منافع البنك. 9- الإكسير في إثبات التقدير. 10- الخطاب المليح في تحقيق المهدي والمسيح. 11- شرح المثنوي لمولانا الرومي. 12- معارف العوارف. 13- تلخيص البداية للغزالي. 14- تربية السالك وتنجية الهالك. 15- كثرة الأزواج لصاحب المعراج -صلى الله عليه وسلم- و...

جهوده الإصلاحية:

تجديده للتصوف والسلوك:

وإن من أهم الأعمال التي قام بها الإمام التهانوي -رحمه الله- في حياته تجديده للتصوف والسلوك. كان الناس في أمر التصوف والسلوك بين إفراط وتفريط، وأخرى تعتقد أن التصوف والسلوك اسم لبعض الكشوف والمواجيد والإشراقات التي تعترض لسالك هذا الطريق، وأن هذه الأحوال والتجارب النفسية هي المقصودة بالدين، ومن فاز بها تخلص عن ربقة الأحكام الشرعية الظاهرة، ومن صدرت منه بعض الشعوذات والتصرفات أو ظهرت له بعض المكاشفات والمواجيد في اليقظة أو المنام: فهو القدوة والإمام عند الجهلة من العامة، مهما زاغت عقيدته أو فسدت أعماله وأخلاقه.

مجالس وعظه وملفوظاته:

قد سبق مني ذكر مواعظه -رحمه الله- فيما مر، وإنه كان قد أصبح بعد تخرّجه من دارالعلوم ديوبند من أشهر الوعاظ والخطباء، وكانت تُعقد له الحفلات في كل ناحية من نواحي البلد، ثم في كل بلد من بلاد الهند، واشتهرت مواعظه هذه في جميع أنحاء البلاد، تشدّ لأجلها الرّحال، وتتحمل لاستماعها المشاق، وتنتهز لذاك الفرص.

وحقا كان مواعظه مملؤة بالنوادر من العلم والحكمة والأمثال واللطائف والظرائف والغرائب، ما تخلو عنه الزبر ولا تحملها الأسفار!! ففيها من بدائع التفسير والحديث والفقه والإحسان ما لا يوجد في الكتب المتداولة. ينثر

فيها الإمام التهانوي -رحمه الله- من لآلي عرفانه ما يجلو القلوب وينور الأذهان.

كان -رحمه الله- يدعو الله سبحانه في بداية خطابه إلى الناس قائلا: «اللهم وفقني لبيان ما يحتاج الحاضرون إليه وما يصلح أحوالهم».

قد كان لمواعظه أثر عميق في إصلاح النفوس وتقويم الأفكار، وإصلاح العقيدة والعمل، فكم من رجل كف بعد سماعها عما اعتاد من المعاصي، وكم من ضال قد تاب بها عن البدع والأهواء، وكم من متخبط في الشكوك قد اهتدى بها إلى الإيمان وإليقين، فاستفاد من هذه المواعظ ما يجاوز عددهم الآلاف من المسلمين، ورفض عدد لا يحصيه إلا الله العادات والتقاليد الجاهلية والرسوم والبدع التي دخلت في حياة المسلمين وفي بيوتهم و أفراحهم وأحزانهم، بسبب الاختلاط الطويل بالكفار وأهل البدع والأهواء.

كان الشيخ -رحمه الله- يقول: «إن رأس الخُلق الحسن وأساسه أن يهتم الرجل بأن لا يتأذى به أحد»، وهذا الذي علمه النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله الجامع: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» وكل ما كان سببا لإيذاء أحد فهو داخل في سوء الخلق، سواء كانت صورته صورة خدمة أم أدب وتعظيم مما يزعمه الناس حسن الخلق؛ لأن حقيقة الخلق الحسن هي إراحة الغير، وهي مقدَّمة على الخدمة، الخدمة بغير الإراحة قشر بلا لُبّ.

وقد دوّن عددًا كبيرًا من هذه المواعظ تلامذته وأصحابه ومسترشدوه أثناء الوعظ، وطبعت منها ما يبلغ نحو عشرين مجلدا، كل مجلد منه يحتوي على ستمائة صفحة على الأقل.

فهذه المواعظ المطبوعة عين جارية مستمرة حتى اليوم، لا تكدي ولا تنقطع ولا تنفذ ولا تغور، وهناك رجال لا يُحصَون لم يصحبوا هذا الإمام ولا رأوه، ولكنهم نالوا فوائد صحبته بمواعظه المطبوعة، وحدث في حياتهم انقلاب عظيم.

وكان من عادته في الوعظ أنه لم يكن يقبل عليه من عوض، حتى لو أهدى إليه رجل بعد الوعظ شيئا بما يجعله كالعوض صورة لم يقبله أبدا، وكان يرجح في مواعظه جانب الترغيب على الترهيب، ويقول -رحمه الله-: قد جربت طبائع الناس في هذا العصر، فوجدتهم ينتفعون بما يشوقهم أكثر من انتفاعهم بما يخوفهم، ولذلك أكثر في مواعظه من الترغيب وأقل من الترهيب.

مريدوه -رحمه الله- من إيران:

ومع الأسف لم يُوفق أحد من إيران أن يتملذ لدى الشيخ التهانوي -رحمه الله- ليتعلم منه الدروس الدينية، ولكن كان من حسن حظ الشيخين الفقيدين الشيخ مولانا شمس الدين مطهري -رحمه الله- من محافظة خراسان/ خواف والشيخ مولانا تاج محمد بزركزاده -رحمه الله- من محافظة بلوشستان/سرباز أن يبايعاه، وآخرون.

وفاته:

وقد وافته المنية لمرض خفيف في ليلة السابع عشر من رجب، سنه ألف وثلاث مائة واثنين وستين، وغشي عليه بعد صلاة المغرب، ولم يفق طول ساعة وربع تقريبا، وكان لتنفسه صوت يسمع.

وقد عُمّر الشيخ التهانوي حتي بلغ اثنين وثمانين سنة ملأها بالعلم والعمل، وأترعها بالبر والتقوي، وزكّاها بالزهادةـ فيما في أيدي الناس والرغبة فيما عند الله، فلما أتاه اليقين وجده خفيف الحِمل من أثقال الدنيا كثير الزاد من عمل الآخرة ذلك الأمر قد جعل الأقارب والأحباء والأصدقاء وتلامذته في حداد ومأتم، وقد ذرفت عين الورى الدموع لفقدانه، ووارى جثمانَ الفقيد الراحل الترابُ في المقابر العامة في قرية «تهانه بهون».

إنه -رحمه الله- ينير في سماء العلم والتزكية والإصلاح كالقمر ليلة البدر لأجل جهوده الجبارة في ميادين التربية والإصلاح بأساليب مختلفة من تأليف الكتب وعقد مجالس للإصلاح.

وأخيرًا يجب أن نطالع سيرة الصالحين من القدماء والمعاصرين لا سيما للنيل إلى أهدافنا المنشودة.

نسأل الله المولى القدير الإصلاح والسداد في هذا الدرب.

المصادر:

1- القرآن الكريم.

2- سنن أبي داود.

3- نزهة الخواطر (55/8)،حسني، عبدالحي. بيروت، دار ابن حزم، 1420 هـ.ق.

4- العناقيد الغالية في الأسانيد العالية، إلهي بلند شهري، محمد عاشق.

5- مقدمة إمداد الفتاوى، التهانوي، أشرفعلي، القول في مقدمة إمداد الفتاوى، للعثماني، محمد تقي.

6- إعلاء السنن(11/1) عثماني، ظفرأحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، القول فيه للعثماني، محمد تقي.

7- أشرفعلي التهانوي حكيم الأمة وشيخ مشايخ العصر في الهند، ندوي، محمد رحمت الله، دمشق، دار القلم، 1427هـ.ق.

قصة قبيلتين كأننا نعيشها!

الطالب: محمد مياخيل

تحت هذه السماوات التي سترت بالغيوم والسحب وعلى هذه الأرضين التي مُوّهت بالعجائب والخلائق المختلفة، والناس قد ناموا ملء أجفانهم على فرشهم، وظلمات الليل غلبت على الأرض، والمصابيح الأرضية تلألأت بأضوائها، والأنسام تهب من هنا إلى هناك، تحت هذه السماء التي سترت بالغيوم أغمضت الحيوانات عيونها في الغابات والبرايا، والعصافيراستراحت على غصون الأشجار، والحيتان والأسماك في ظلمات إليل وظلمات المحيط نامت دون رعب ورهب وخوف في كبد المحيط.

نعم! كن معي في هذه القصة الجميلة الرائعة، لعلك تتأثر منها وتثور بها ثورتك وتبتهج بها ابتهاجا وتهفّ إليها نفسك.

قبل سنوات بل قرون كانت تسكن أرضًا من أراضي الله قبيلتان، في ضاحية من ضواحي مدينةٍ، وكانت اسم إحدى هاتين القبيلتين «بني القمر» والأخرى «بني الشمس».

وكان الناس يعيشون في عيش بسيط حيث لا يعرفون الخدعة والمكر، ولا الحرب ولا الجدال، وكانت قبيلة بني الشمس متحدة متفقة في عقيدتهم. كانت تعيش في بساطة وسذاجة وتعاون يحمل كلهم الكَل عن أخيه، وكانت بينهم صلة عميقة وثيقة يصلون الرحم، وكانت ألواح قلوبهم زاهية صافية عن الكذب والمكر، فإذا رأوا الكلَّ على عواتق الآخرين اكتأبوا، وتعكر صفوهم، وتحمسوا لحمله عنه، ومن ناحية أخرى كانوا يُكسبون المعدوم والمعسر حوائجهم، ويقرون الضيوف، وكانوا معينين مغيثين أخاهم على نوائب الحق. وهكذا كانوا يعيشون معًا، ومع طول التمادي ازدادت فرقهم حتى صاروا جماعات مختلفة وفي نفس الوقت متحدة كأصابع مختلفة في يد واحدة، أو كفروع تتحد في أصلها من الصعب تفكيكها.

ولكن قبيلة «بني القمر» على عكسهم كانوا مختلفين متفرقين في ما بينهم، حتى سُمّوا بقبيلة الضلال والطغيان. ويسكن الناس في هذه القبيلة في المكر والخداع والحرب والجدل، فأولعوا بالخمر والقمار، وبلغت بهم القساوة والحمية إلى الغارة وقطع الطريق على القوافل، ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق والإملاق، وأُغرموا بالحرب وهانت عليهم إراقة الدماء، فتثيرها حادثة تافهة، وقلّت فرقهم وما نمت.

وبعد سنوات قليلة حدثت حرب بين طائفتين من بني الشمس وبني القمر. في بداية الحرب غلب حزب بني الشمس على بني القمر، وأذاقوهم هزيمة نكراء، فخضعت بنو القمر وانتكست، ثم عزمت وأزمعت على أن يقهر بني الشمس بعد هذا المشهد. تأهبت بنو القمر لينتصر على بني الشمس. دار الزمان وسار وتلاقت بنو القمر وبنو الشمس في جولة ثانية، فما إن رأت بنو القمر بني الشمس حتي اندلعت الحرب بينهما، فصعد الغبار والدخان من تحت أرجلهم. فجأةً أحسّت بنو الشمس أن بني القمر غلبت عليها. فانسحبت وتركوا ساحة الحرب، ونجحت بنو القمر في هذا الموقع، وصاروا فارحين مسرورين، ولكن المساكين بني القمر نسيت أن بني الشمس تكون فئة واحدة لا توجد بينهم التفرقة والاختلاف، ويكونون جنبًا بجنب في الضراء والبأساء والأفراح والأتراح. فأخبرت بنو الشمس أهلها ودعتهم للمعركة مع بني القمر.

واستعدت قبيلة بني الشمس للحرب وهجمت على بني القمر، وأعادت فرحهم بالنصر أثرًا بعد عين، وتركت فيها خسارات فادحة، وانتكست بنو القمر وصارت مغلوبة مقهورة مهزومة أمام بني الشمس.

بعد هذه المعركة اجتمعت بنو الشمس وكوّنت ندوة للاحتفال بفوزهم على بني القمر، وقام في الندوة الأمين العام لبني الشمس ونصحهم نصائح ومواعظ مفيدة، وقال في خلال كلامه: يا أيها الأعزاء! أصغوا إلي! أفلا أخبركم بما لم يخبركم به أحد من قبل وما هفّت على بالكم؟ خيّم الصمت على الجميع! ثم مكث هنيهة وصعّد زفرة وقال: يا أيها الحضار! لا تتخذوا بني القمر أولياء بعضهم أولياء بعض! أنا أحذركم بأن لا تتخذوا هؤلاء الأعداء أولياء! كونوا متحدين متفقين ولا تجيزوا لأحد لأن يتدخل بينكم حتى يغري العناد والقتال بينكم! فانتهت الندوة بخطابة شيخهم فتفرق أهل بني الشمس .

وبقيت بنو القمر يقاسون آلام هزيمتهم، فقامت تخطط وترسم لها خطة جديدة كي تغلب على بني الشمس، فقام داهية من دهاتهم وأقبل إلى بني القمر وقال لهم: يا أيها السادة! نحن لا نستطيع أن نصمد أمام بني الشمس؛ لأنهم أقوياء ونحن ضعفاء. هم متحدون متفقون ونحن متفرقون مختلفون. هم أمة واحدة كأصابع في يد واحدة، فتأثروا وأقبلوا إليه وقالوا: ما هو الحل؟ فأجابهم: ليس أمامكم إلا طريق واحد! وما هو؟ أن نظهر لهم في ثوب الناصحين، ونوّهمهم بأننا نحبهم. يا لها من خدعة رائعة. ووافقوا على هذا الرأي الجميل كلهم ثم بدأوا يفكرون في تفاصيلها، فبدأت الصلات والمعاشرات والمصاحبات والمجالسات بين قبيلتين. فتختلف بنو القمر إلى بني الشمس، وصارت هذه العلاقات وثيقة، فانخدعت بنو الشمس وما ميزت بين العدو والصديق.

وبعد مدة ظهر ونشأ الخلافات بين طائفتين من قبيلة بني الشمس. ثم تعدى الخلاف الطائفتين وفشا فيهم، فإنه بعدما غابت أحلامهم لم يكن فيهم من يريهم الطريق الصحيح. فأخذ بعضهم يحمي إحداهما والبعض الأخرى بدل حل جذري، وهكذا قد بزغ وطلع فيهم التفرقة والصراع ، فبدت لطائفة منهم أن تطلب المساعدة من بني القمر لتظاهرها، فأخبرت عدوّها (بني القمر) بما حدث بينهم، وطلبت منها المساعدة وأن تصحبتها في كل غدواتها وروحاتها؛ لأنها بعدما تفاقم الخلاف بينهم رأت بني القمر الملجأ الوحيد وتوهمتها أقرب إليها.

إذا علمت بنو القمر بما جرى قالت في نفسها حان وقت الانتصار وتفكيك بني الشمس وتشريدهم. فاختلفت إليها وكانت تمشي بينهم بالنميمة والإفتراء ويزيدهم خبالًا، وبهذه الأساليب فرقتهم وقسمتهم، وأوجدت بينهم العناد والقتال والانحطاط والتفكيك. فتفرقت بنو الشمس إلى فرق كثيرة لا يهمّهم شأن بعضهم. إذا واجهوا بعضهم بعضا اسودّ وجهه، ثم أرادت بنو القمر أن يضربهم بسهم آخر وذلك السهم أن يضربوا في صعيدهم بعرق ويعيشوا بجنبهم حتى ينشأ بينهم المؤاخاة والموالاة. فوافقت على هذا الرأي فئة من فئات بني الشمس، فبوّأت بني القمر وملّكتهم أراضي سقتها دماء أجدادهم، فدخلت بنو القمر أرضهم وديارهم، فتجاسرت وأرادت أن يضربهم بسهم

أخـر.

ففـرض عليهـم ثقافتهـا ثـم معاشـرتها ثـم معاملتهـا ثـم لغتهـا، وأبعدهـم عـن ثقافتهـم ومعاشـرتهم ومعاملتهـم. وبعـد مـدة مـات السـراة وعاشـت أولاد بنـي الشـمس وبنـي القمـر. وكانـوا يعيشـون معـا في أرض واحـدة. وقـد تسـربت فيهـم عقائـد بنـي القمـر وأفكارهـم، وفقـدت بنـو الشـمس روحهـا وشـكلها وهويتهـا، ورسـمت بنـو القمـر على ألـواح قلوبهـم كلمـا شـاءت ليصعـب محوهـا وإزالتهـا. فمـا عـادت بنـو الشـمس تباهـي بعلومهـا وآدابهـا الراقيـة ومدنياتهـا الزاهيـة كمـا كانـت مـن قبـل.

وأخمـدت بنـو القمـر فيهـم الحماسـة والجـلادة والتقشـف والحيويـة ومسـخت مـا ورثـوه مـن تقاليـد وآداب.

وقـد اسـتمرت هـذه السلسـلة إلـى أبنائهـم وبناتهـم حتـى بلـغ الأمـر مبلـغ الجـد وبلـغ السـيل الزُّبـى، فكانـوا لا يمتـازون عـن عدوهـم القديـم وسـميرهم الجديـد إلا بالنسـب.

وفي الأخيـر وبعـد كل هـذه النكبـات مارسـت بنـو القمـر لتحقيـق المرحلـة الأخيـرة مـن مشـروعها الخبيـث، مرحلـةٍ تنتهـي بقلعهـم وقمعهـم وحـروب داخليـة تسـتأصل خضراءهـم.

حسـن! أتعـرف كل هـذه الاختلافـات والانحطاطـات والتفرقـات نشـأت وظهـرت بينهـم بـأي طريـق

الأول: الإعـراض عن نصيحة أسلافهم.

والثانـي: اتخـاذ الأعـداء أوليـاء. كمـا حذّرهـم شـيخهم: «لا تتخـذوا بنـي القمـر أوليـاء بعضهـم أوليـاء بعـض، لا يألونكـم خبـالًا.

والثالث: ظهور الخلافات ولا أحد يقوم بحلها.

والرابع: تفكيك الأسرة وانحطاطها.

والخامس: ظهور العقائد الفاسدة.

والسادس: الحروب الداخلية.

والآن نقـارن هـذه القصـة مـع عصرنـا الراهـن. القبيلـة المتحـدة: بنـو الشـمس كانـت تُمثّـل الإسـلام وأبنـاءه، والقبيلة المتفرقـة (بنـو القمـر) كانـت اليهـود والنصـارى أعـداء الإسـلام، والجماعـات المختلفـة مـن بنـي الشـمس هـي الشـعوب الإسـلامية التـي نبتـت واتسـعت في شـتى بقـاع الأرض، وقبيلـة بنـو القمـر كأنهـا كانـت اليهـود التـي قلّـت ومـا نمـت لأجـل الاختلافـات والتفرقـات بينهـم. وحادثـة الحـرب بينهمـا كأنهـا كانهـا الغـزوات التـي حدثـت بيـن المسـلمين واليهـود والنصـارى. الفئـة الواحـدة كانـت المسـلمين، اجتمعـت وغلبـت على اليهـود في جولتهـا الأولـى، والأميـن العـام كأنـه رسـول الله -صلـى الله عليـه وسـلم- نصحهـم بمـا أوحـي إليـه: «لا تتخـذوا اليهـود والنصـارى أوليـاء بعضهـم أوليـاء بعـض»، «فأعـدوا لهـم ماسـتطعتم مـن قـوة ومـن ربـاط الخيـل ترهبـون بـه عـدوالله»

والداهيـة مـن بنـي القمـر هـو رئيـس مـن روؤسـاء إليهـود نبههـم وقـال: إننـا ضعفـاء وهـم أقويـاء، ونحـن متفرقـون وهـم متحـدون! فعلينـا بتطبيـع العلاقـات وبـثّ النزاعـات والخلافـات وتسـريب التفرقـة بينهـم، ومـا حدثـت في بنـي الشـمس هـي مـا نعانيـه نحـن المسـلمين مـن الحميـات القوميـة والسياسـات والكراسـي والأسـماء والألـوان والحـدود التـي فرقـت بيننـا.

كمـا نـرى أن إيـران وأفغانسـتان وتركيـا وشـبه الجزيـرة وعـراق وسـورية والإمـارات وغيرهـا مـن البـلاد الإسـلامية تميـز كلٌّ واحـدة منهـا عـن الأخـرى لغتُهـا وثقافتهـا وحدودهـا، وكانـت على الرغـم مـن كل ذلـك يصـل بينهـم الديـن ويوحّـد ويؤلّـف بينهـم، والنتيجـة لـكل مـا سـبق أن أعـداء المسـلمين اقتربـوا منهـم وأزلّوهـم، وفرضـوا عليهـم أفكارهـم وعقائدهـم، وأشـعلوا فيهـم الحميـة القوميـة بهـذ الأسـلوب: أنـت عـرب وهـو عجـم! وأنـت أبيـض وهوأسـود! أنـت إيرانـي وهـو فلسـطيني!

أتعـرف؟! مـن الـذي خلـف السـتار؟ إليهـود والنصـارى. إن هاتيـن الفئتيـن قبـل قـرون كانتـا تحـت سـلطة المسـلمين والمسـلمين يحكمـون عليهمـا.

هـل تعلـم مـا هـي أسـباب قوتهمـا؟ كـن معـي حتـى أقـول لـك! همـا تعلمتـا أن يعيّنـوا عدوهـم الواحـد أولًا، ثـم يكونـوا على الرغـم ممـا بينهـم مـن الفـوارق يـدا واحـدة تحـت رايـة واحـدة كدولـة واحـدة، وهكـذا كان.

يـا أُخـيَّ! شـمّر عـن سـاعد الجـد حتـى تكـون بنفسـك أمـة واحـدة ولتتحـد هـذه البلـدان المتفرقـة التـي يسـودها اليـأس والقنـوط.

مشقة العلماء على شدائد التحصيل

الطالب: زبير سليمانبور

الحمد لله على تمام فضله وإكرامه وعلى سابغ إحسانه وإنعامه، وهوالذي بنعمته تتم الصالحات، وهوذوالجلال والإكرام، فله الحمد واجبا وله الدين واصبا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الكرام الذين ساندوه، ونقلوا لنا رسالته، وبلّغوا أمانته، ونهضوا بنشر هذا الدين، وفارقوا الوالد والوالدة والأخ والأخت والزوجة والوليد فكانوا بحق خيرأمة أخرجت لناس.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة.

كما نرى قد أثقل عبء الدين كاهل العلماء لكثرة المشقة وكثرة الأحمال التي يحملونها على أكتافهم، وبعض الأحيان نرى أن العلماء يترعرعون في صعوبات الحياة، ومع ذلك لم يألوا جهدا في هذا الطريق، ولم يوقفهم شيء عن طلب العلم، وكانوا يتلذذون من كسب العلم، ويقبلون الشدائد على رحابة الصدر، ولم يقنعوا بفن واحد، بل أخذوا من كل فن شيئا من الفقه والصرف والحديث والطب وغيرها، وكانوا يحذرون من ضياع ساعة من عمرهم، حتي لم يتعطل لسانهم عن المذاكرة والمناظرة وبصرهم عن المطالعه. قال حافظ ابن رجب: «إني لأجد من حرصي على العلم وأنا في الثمانين أشد مما كنت أجده في وأنا ابن عشرين سنة.

ومن مشاكل والماشاق التي تحملها العلماء في طريق التعلم أنهم كانوا يطوون مسافات بعيدة مملوءة بالأخطار إقبالا وإدبارا لكسب العلم منها: قال أبو شهاب الحناط : بعثت أخت سفيان الثوري معي بجراب إلى سفيان وهو بمكة فيه كعك وخشكنانج، فقدمت مكة فسالت عن سفيان فقيل لي: إنه ربما يقعد دبر الكعبة مما يلي باب الحناطين. قال أبوشهاب: فأتيته هناك وكان لي صديقا، فوجدته مستلقيا فسلمت عليه، فلم يسائلني تلك المساءلة ولم يسلم علي كما كنت أعرف منه، فقلت له: إن أختك بعثت إليك معي بجراب فيه كعك وخشكنانج. فعجل علي واستوي جالسا. فقلت: يا أبا عبد الله أتيتك وأنا صديقك فسلمت عليك فلم تردّ علي ذاك الرد! فلما أخبرتك أني أتيتك بجراب كعك لا يساوي شيئا جلست وكلمتني!!

فقال: «يا أبا شهاب لا تلمني! فإن هذه لي ثلاثة أيام لم أذق فيها ذواقا». قال أبو شهاب: فعذرته». (صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل ص:219)

وفذلكة القول يا إخوان إن العلماء يغوصون في الصعوبات والشدائد والمعضلات، ويقعون في مستنقعات المشاكل ومناقع المصائب، وبصرف النظر عن ذلك لم يزالوا يشكرون الله تعالى ويثنون عليه ما يعيشون في هذه الحياة، ويرجون رحمة ويخافون عذابه.

فيا معشر الطلبة! نحن طلاب اليوم وعلماء الغد، فيليق بنا أن نُعد أنفسنا لما نواجهه من الكوارث والمشاكل، ولم أسمع قولا أليق بشأن العلماء والمصلحين مما قاله الحسن البنّا -رحمه الله-: «أيها الإخوان هل على استعداد أنتم لتجوعوا ليشبع الناس، وتتعبوا ليستريح الناس، وتسهروا لينام الناس، وأخيرا لتموتوا لتحيى أمتكم.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

لغات وتعابير

الطالبان: عرفان طاهرنيا و متين مرادي

لغات وتعابير

...ألزم نفسه الصمت: روزه سکوت گرفت

...ألجأتني الضرورة إلى...: أكرهتني، اضطرتني: بخاطر نیاز شدید مجبور شدم که ...

...إن ساعدني الزمان: اگر شرایط مهیا شود

...شقّ علي انتظارك: انتظارت برایم سخت شد

...إن هذه المسألة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار: این مساله مثل خورشید در وسط آسمان واضح است

...ابتسامة قهرية: خنده زورکی

...سئمت رتابة الحياة: از یکنواختی زندگی خسته شدم

...قدّاحة: فندک

...المنشار: اره

...سعل سُعالًا: سرفه کردن

...عدّاد الماء: کنتور آب

...أُكرّس حياتي للنّشئ الجديد: زندگیم را وقف نسل جدید می‌کنم

...يتأنّق الشاب في ملبسه: يرتدى لباسًا أنيقًا: شیک پوش است

...ارتمى بين أحضان أمه: ألقى بنفسه بين ذراعيها: خودش را به آغوش مادرش انداخت

نص علمي وشرح المفرادت

مكنَة عديمة الحياة:

تتصرف الربوطات كأنها كائنات حية، لكنها في الواقع مكنات معقّدة لا حياة فيها. صحيح أنها تستطيع استخدام الطاقة للتحرك، لكن الروبوط لا يستطيع الحصول على تلك الطاقة ذاتيًا، بل يعتمد على الإنسان لتوفيرها له. كذلك فإن الروبوط لا ينمو ولا يتوالد، وهو بدون صيانة منتظمة مآله إلى البلى والتفكك.

...مكنة: ماشین

...تتصرّف: کار می‌کند

...الروبوط: ربات

...كائنات حية: موجودات زنده

...معقّدة: پیچیده

...ذاتيا: شخصا

...توفير: تدارک دیدن

...لا يتوالد: زاد و ولد نمی‌کند

...صيانة: حفاظت، مراقبت

...منتظمة: مرتب و مستمر

...مآل: خاتمه، پایان

...البلى: فرسودگی

...التفكك: متلاشی شدن

تأملات قصيرة لأدهم شرقاوي:

لو كان الولاء للأرض ما ترك النبي -صلى الله عليه وسلم- مكة
ولو كان للقبيلة ما قاتل قريشًا
ولو كان للعائلة ما تبرأ من أبي لهب
ولكنها العقيدة أغلى من التراب والدم

❁❁❁

لا تصدّقوا أنه كما تكونون يولَّى عليكم
بل الناس على دين ملوكهم...
فقد قال علي بن أبي طالب للفاروق:
يا أمير المؤمنين عفَفت فعفّوا، ولو رتعت لرتعوا.

❁❁❁

الصمت ليس حكمة
بل وسيلة الجبناء للاختباء في ثياب الحكماء...!
اصرخ في وجه الطغاة وقل لهم:
تبًّا لكم جئت لأعيش!
وسأعيش ولو كان موتي طريقتي الوحيدة للحياة!

AL-ANVAR 32
journal of: HOZE ELMI YE ANVAROL OLOOM
KHEYR ABAD . TAYBAD

إلى القرّاء الكرام

مجلّة الأنوار تصدر برئاسة الشيخ عبد المجيد رجبعلي زاده وتحت إشرافه وتوجيهاته، وهو عرف منذ باكورة مساعيه العلمية والدعوية بالمرونة والتوسّط والتحرّز عن أي فكر يحمل إفراطاً وتفريطاً في الدين ولا يزال يدعو إلى ذلك بمواعظه ونصائحه ويسعى أن يدرّب الجيل الجديد وأصحاب القلم على مجانبة أي اصطدام فكري وعقائدي مع الفرق الأخرى وهو مع ذلك يتألّم لأوجاع العالم الإسلامي ويهتمّ بأمور المسلمين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر هي السفلى، ويرى أن المدارس الدينيّة معاقل حصينة لصيانة حقيقة الإسلام ونشر التعاليم الصحيحة المستنبطة من القرآن والسنّة والصدع بالحق وتوجيه الشعب نحو الأهداف المنشودة الحقّة وإنقاذه عن الانحرافات والضلالات.

فالمجلّة من هذا المنطلق تحتضن أهدافاً تدعو إليها بالقلم وهي كالتالي:

- التصوير الدقيق للإسلام وتبليغ الكتاب والسنّة
- الدعوة إلى التوسّط والاعتدال في الفكر والعقيدة
- توعية الأمة لمواجهة الحركات الهدّامة كالاستشراق والتبشير
- تثقيف الجيل الجديد وتربيته تربية ثقافية إيمانية إسلامية بحيث يجيب كافة حاجات المجتمع ويوافق مع مستجدات العصر
- إحياء تراث خراسان الثقافي والتعريف برجالها من الدعاة والمحدثين والمفسرين والفقهاء واللغويين
- أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلم
- الدعوة إلى اتحاد جميع الاتجاهات الدينيّة
- إعادة الثقة إلى نفوس الشباب بأن الإسلام لا يزال غضاً طريّاً لا تبلى جدّته